تحفة السفرة إلى حضرة البررة

تأليف

سلطان العارفين الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

المتوفى 638 هـ

ويليه

عقيدة التوحيد الكبرى في عقائد أهل السنة والجماعة

تصنيف

العلامة المحقق محمد المكي ابن عزوز المغربي المالكي

المتوفى 1334 هـ

حققه واعتنى به

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشرون

تحفة السفرة
إلى حضرة البررة

تأليف

سلطان العارفين الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

المتوفى 638 هـ

ويليه

عقيدة التوحيد الكبرى
في عقائد أهل السنة والجماعة

تصنيف

العلامة المحقق محمد المكي ابن عزوز المغربي المالكي

المتوفى 1334 هـ

حققه واعتنى به

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon بيروت - لبنان | كتاب - ناشرون

TUḤFAT AS-SAFARA ILĀ ḤAḌRAT AL-BARARA
FOLLOWED BY: 'AQĪDAT AT-TAWḤĪD AL-KUBRĀ

تحفة السفرة إلى حضرة البررة
ويليه: عقيدة التوحيد الكبرى

Author : *Al-Shaykh Muhyiddin ebn Arabi*
(D. 638 H.)
and: Al-Shaykh ebn Azuz Al-Maghriby Al-Maliki
(D. 1334 H.)

المؤلف : الشيخ محيي الدين ابن عربي
(ت ٦٣٨ هـ)
والشيخ ابن عزوز المغربي المالكي
(ت ١٣٣٤ هـ)

Editor : *Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali*

المحقق : الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

Classification : *Sufism*

التصنيف : تصوف

Year : *1438 H. - 2017 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

Pages: *128*

عدد الصفحات : ١٢٨

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى

ISBN : *978-2-7451-8468-9*

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon بيروت - لبنان
كتاب - ناشرون

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com

ISBN-13: 978-2-7451-8468-9
ISBN-10: 2-7451-8468-7

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

بسم الله الرحمٰن الرحيم القائل: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النُّور: الآية 31] ، والقائل تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [الأعرَاف: الآية 29]، والقائل تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحِجر: الآية 99] ، والقائل تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54] ، والقائل تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العَنكبوت: الآية 69].

والحمد لله ربّ العالمين القائل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعرَاف: الآية 143].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**».

والقائل ﷺ: «**إنَّ الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**».

وبعد، ففي إطار الحديث عن مقامات وأحوال أولياء الله الصالحين والمريدين السالكين إلى الله تعالى، وعن التجليات الإلٰهية والمعارف الربانية،

وإيمان الدليل والبرهان، والشهود والعيان، نقدِّم للقرَّاء الكرام مخطوط (**تحفة السفرة إلى حضرة البررة**) لسلطان العارفين الشيخ الأكبر سيدي أبي بكر محمد ابن علي الحاتمي الطائي.

والكتاب يتكلم عن الأبواب التالية:

الباب الأول: في التوبة، **الباب الثاني**: في الاعتقاد، **الباب الثالث**: في الإخلاص، **الباب الرابع**: في المحبة، **الباب الخامس**: في الشوق، **الباب السادس**: في العشق، **الباب السابع**: في كيفية الرياضات، **الباب الثامن**: في بيان الخلوة وآدابها وشروطها، **الباب التاسع**: في صفة المريد وفيه فصول: **فصل** في الواقعات، **فصل** في بيان المشاهدة، **وفصل** في بيان المكاشفات، **وفصل** في بيان التجلي، **وفصل** في بيان الوصول. **الباب العاشر**: في بيان المعرفة والمقام والحال وتفسير بعضها.

وقد حصلنا على المخطوط من المجموعة الرفاعية في جامعة لايبزيك في ألمانيا، وحصلنا على نسخة ثانية من موقع المخطوطات التابع لوزارة الثقافة التركية، ونسب هذا المخطوط أيضاً إلى الشيخ جلال الدين أحمد البسطامي المتوفى سنة 807 هجرية.

هذا وإتماماً للفائدة ألحقنا بهذا المخطوط (**عقيدة التوحيد الكبرى في عقائد أهل السنة والجماعة**) تصنيف العلامة المحقق الشيخ محمد المكي بن عزوز المغربي المالكي المتوفى سنة 1334 هجرية.

وفي الختام لا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوف الإسلامي تساعد المُريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات التي يمر بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: الآية 99]. كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان؛ الشريعة والطريقة والحقيقة؛ المُلْك والملكوت والجبروت، مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»، وقوله ﷺ: «إن هذا

العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أسرار ما تعبَّدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية 21]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: الآيتان 3، 4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: الآية 69]، لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: الآيتان 22، 23].

كتبه الشيخ الدكتور
عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة ابن عربي[1]

نسبه:

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم أخي عديّ بن حاتم من قبيلة طيّ مهد النبوغ والتفوق العقلي في جاهليّتها وإسلامها. يكنى أبا بكر ويلقب بمحيي الدين، ويعرف بالحاتمي وبابن عربي لدى أهل المشرق تفريقاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي.

مولده ونشأته:

ولد في يوم الاثنين السابع عشر من رمضان عام خمسمائة وستين هجرية الموافق 28 يولية سنة ألف ومائة وخمس وستين ميلادية في مدينة «مرسية» بالأندلس، وهي مدينة أنشأها المسلمون في عهد بني أمية. وكان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث، ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف. وكان جده أحد قضاة الأندلس وعلمائها، فنشأ نشأة تقيّة ورعة نقيّة من جميع الشوائب الشائبة. وهكذا درج محيي الدين في جو عامر بنور التقوى، فيه سباق حر مشرق نحو الشرفات العليا للإيمان، وفيه عزمات لرجال أقوياء ينشدون نصراً وفوزاً في

(1) مقتبسة من بحث للدكتور محمد غلاب بعنوان «المعرفة عند محيي الدين بن عربي» ضمن الكتاب التذكاري لمحيي الدين بن عربي في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده، الصادر عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1969 ميلادية.

محاريب الهدى والطاعة.

وانتقل والده إلى إشبيلية، وحاكمها إذ ذاك السلطان محمد بن سعد، وهي عاصمة من عواصم الحضارة والعلم في الأندلس، وفيها شب محيي الدين ودرج. وما كاد لسانه يبين حتى دفع به والده إلى أبي بكر بن خلف عميد الفقهاء، فقرأ عليه القرآن الكريم بالسبع في كتاب «الكافي»، فما أتم العاشرة من عمره حتى كان مبرزاً في القراءات ملهماً في المعاني والإشارات. ثم أسلمه والده إلى طائفة من رجال الحديث والفقه، يذكرهم لنا الإمام شمس الدين بن مسدي في روايته عن محيي الدين فيقول واصفاً متحدثاً عن أساتذته الأول: «كان جميل الجملة والتفصيل، محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل، وله في الأدب الشأو الذي لا يلحق، والتقدم الذي لا يسبق، سمع في بلاده في شبابه الباكر من ابن زرقون، والحافظ ابن الجد، وأبي الوليد الحضرمي، والشيخ أبي الحسن بن نصر». ثم لا يذكر لنا التاريخ بعد ذلك شيئاً ذا بال عن شباب محيي الدين، ولا عن شيوخه، ومقدار ما حصل من العلوم والفنون؛ وإنما هو يحدثنا أنه مرض في شبابه مرضاً شديداً. وفي أثناء شدة الحمى رأى في المنام أنه محوط بعدد ضخم من قوى الشر، مسلحين يريدون الفتك به. وبغتة رأى شخصاً جميلاً قوياً مشرق الوجه، حمل على هذه الأرواح الشريرة ففرّقها شذر مذر، ولم يبق منها أي أثر، فيسأله محيي الدين من أنت؟ فقال له: أنا سورة يس.

وعلى أثر هذا استيقظ فرأى والده جالساً إلى وسادته يتلو عند رأسه سورة يس. ثم لم يلبث أن برئ من مرضه، وألقي في روعه أنه معدّ للحياة الروحية، وآمن بوجود سيره فيها إلى نهايتها ففعل.

وفي طليعة هذا الشباب المزهر بفضل ثروة أسرته تزوج بفتاة تعتبر مثالاً في الكمال الروحي والجمال الظاهري وحسن الخلق، فساهمت معه في تصفية حياته الروحية، بل كانت أحد دوافعه إلى الإمعان فيها.

وفي هذه الأثناء كان يتردد على إحدى مدارس الأندلس التي تعلم سراً مذهب الأمبيذوقلية المحدثة المفعمة بالرموز والتأويلات الموروثة عن الفيثاغورية والأورفيوسية والفطرية الهندية. وكانت هذه المدرسة هي الوحيدة التي تدرس

لتلاميذها المبادئ الخفية والتعاليم الرمزية منذ عهد ابن مسرة المتوفى بقرطبة في سنة 319 هـ ـ 931 م والذي لم يعرف المستشرقون مؤلفاته إلَّا عن طريق محيي الدين. وكان أشهر أساتذة تلك المدرسة في ذلك القرن ابن العريف المتوفى في سنة 1141 م فلم يره محيي الدين، ولكنه تتلمذ على منتجاته وعلى رواية تلميذه المباشر وصديق محيي الدين الوفي أبي عبد الله الغزال.

ومما لا ريب فيه أن استعداده الفطري ونشأته في هذه البيئة التقية، واختلافه إلى تلك المدرسة الرمزية، كل ذلك قد تضافر على إبراز هذه الناحية الروحية عنده في سن مبكرة وعلى صورة ناصعة لا تتيسر للكثيرين ممن تشوب حياتهم الأولى شوائب الغرائز والنزوات. فلم يكد يختم الحلقة الثانية من عمره حتى كان قد انغمس في أنوار الكشف والإلهام، ولم يشارف العشرين حتى أعلن أنه جعل يسير في الطريق الروحاني بخطوات واسعة ثابتة، وأنه بدأ يطلع على أسرار الحياة الصوفية، وأن عدداً من الخفايا الكونية قد تكشفت أمامه، وأن حياته منذ ذلك العهد المبكر لم تعد سوى سلسلة من البحث المتواصل عما يحقق الكمال لتلك الاستعدادات الفطرية التي تنير أضواؤها جوانب عقله وقلبه. ولم يزل عاكفاً على ذلك النشاط الروحاني حتى ظفر بأكبر قدر ممكن من الأسرار. ولم تكن آماله في التغلغل إلى تلك الأسرار وبحوثه عن وسائلها الضرورية تقف عند حد، لأنه أيقن منذ نعومة أظفاره بأنه مؤمن بمبادئ عقيدة حقيقية أزلية مرت بجميع الأزمان الكونية، وطافت بكل الأجناس البشرية متممة ما فيها من نقص وقصور، وأنها جمعت كل الروحانيات في الوحدة الفطرية التي تتمثل من حين إلى آخر في صور تنسكيَّة رفيعة تبدو على مسرح الإنسانية ردحاً من الزمن ثم تختفي، ولا يدرك حقيقتها إلا القليلون.

وأكثر من ذلك أنه حين كان لا يزال في قرطبة قد تكشف له من أقطاب العصور البائدة عدد من حكماء فارس والإغريق كفيثاغورس، وأمبيذوقليس، وأفلاطون ومن إليهم ممن ألقيت على كواهلهم مسؤولية القطبية الروحية في عصورهم المتعاقبة قبل ظهور الإسلام. وهذا هو السبب في أنه قد شغف بأن يطلع على جميع الدرجات التنسكية في كل الأديان والمذاهب عن طريق أرواح

رجالها الحقيقيين بهيئة مباشرة، وبصورة مؤسسة على الشرف العلمي الذي يحمل الباحث النزيه على الاعتماد عليه دون أدنى تردد أو ارتياب.

غير أن هذه السكينة الروحانية التي بدأت لدى هذا الشاب مبكرة والتي كانت ثمارها فيما بعد تتمثل في تلك المعرفة التي أشرنا إليها آنفاً، لم تدم طويلاً على حالة واحدة، إذ إنه لم يلبث أن تبين أول الأمر بالإلهام، ثم عن طريق الكشف الجلي أنه لم يعد له بدّ ـ في تلك البيئة المغربية إذ ذاك ـ من أحد أمرين: إما أن يجاري التيار العام الذي كان يحدق به إحداق السوار بالمعصم، وهو أن يتقيد في جميع أفكاره وتعقلاته وأحاسيسه ومشاعره وحركاته وسكناته بحرفية الدين التي لا روح فيها ولا حياة ولا سرّ ولا رمز ولا تأويل، وبهذا تختفي شخصيته الحقيقية وتفشل رسالته الطبيعية، وهذا شيء لا يستطيعه بأي حال، وإما أن يسير على فطرته وحسب تكوين عقله وقلبه فيصطدم في كل خطوة من خطواته مع أهل الحل والعقد في البلاد. وقد حدث ذلك فعلاً حيث احتدمت بينه وبين بعض الأمراء الموحدين مجادلات عنيفة، وحيكت حوله دسائس قوية اتهمته بإحداث اضطراب في سياسة الدولة.

وإذ ذاك رأى في حالة اليقظة أنه أمام العرش الإلٰهي المحمول على أعمدة من لهب متفجر، ورأى طائراً بديع الصنع يحلق حول العرش ويصدر إليه الأمر بأن يرتحل إلى الشرق، وينبئه بأنه سيكون هو مرشده السماوي، وبأن رفيقاً من البشر يدعى فلاناً ينتظره في مدينة فاس، وأن هذا الأخير قد أُمِرَ هو أيضاً بهذه الرحلة إلى الشرق، ولكنه يجب ألا يرتحل قبل أن يجيء إليه رفيق من الأندلس، فيفعل ما أمر به ويرتحل بصحبة هذا الرفيق.

وفيما بين سنتي 597، 620 هـ 1200، 1223م يبدأ رحلاته الطويلة المتعددة إلى بلاد الشرق فيتجه في سنة 1201م إلى مكة فيستقبله فيها شيخ إيراني وقور جليل عريق المحتد ممتاز في العقل والعلم والخلق والصلاح. وفي هذه الأسرة التقية يلتقي بفتاة تدعى «نظاما» وهي ابنة ذلك الشيخ، وقد حبتها السماء بنصيب موفور من المحاسن الجسميّة، والميزات الروحانية الفائقة، فاتخذ منها محيي الدين رمزاً ظاهرياً للحكمة الخالدة، وأنشأ في تصوير هذه الرموز قصائد سجلها

في ديوان[1] ألفه في ذلك الحين.

وفي هذه البيئة النقية المختارة له من قبل سطعت مواهبه العقلية والروحية، وتركزت حياته الصوفية، وجعلت تصعد في معارج القدس شيئاً فشيئاً حتى بلغت شأواً عظيماً. ومن ذلك أنه في إحدى طوفاته التأملية والبدنية بالكعبة يلتقي من جديد بمرشده السماوي الذي أمره سالفاً بالهجرة من الأندلس والمغرب إلى الأصقاع الشرقية، فيتلقى منه الأمر أيضاً بتأليف كتابه الجامع الخالد «الفتوحات المكية»[2] الذي ضمنه أكثر وأهم آرائه الصوفية والعقلية ومبادئه الروحية، والذي لا يتطاول إلى قمته في عصره أي كتاب آخر فيما نعلم من إنتاج هذا الصنف من المتنسكين.

وفي سنة 1204م يرتحل إلى الموصل حيث تجتذبه تعاليم الصوفي الكبير علي بن عبد الله بن جامع الذي تلقى لبس الخرقة عن الخضر مباشرة، ثم ألبس محيي الدين إياها بدوره.

وفي سنة 1206م نلتقي به في القاهرة مع فريق من الصوفية الذين يطبقون حياة تنسكية قوية محافظة. وهنا يظهر له رائد سماوي يأمره بإدخال شيء من الكمال على مذهبه، ولكنه لا يكاد يفعل حتى يتنمر له عدد من الفقهاء يحيكون حوله وحول أصحابه شباكاً من الدسائس تهدّد اطمئنانهم بل حياتهم، ولولا نفوذ أحد أصدقائه لوقع في ذلك الخطر، ولكنه لحسن حظه يستطيع أن ينجو بنفسه ويفر إلى مكة في سنة 1207م فيلتقي فيها بأصدقائه القدماء الأوفياء، ويقيم بينهم في هدوء وسكينة نحو ثلاثة أعوام، ثم يرتحل إلى قونية بتركيا حيث يتلقاه أميرها السلجوقي باحتفال بهيج.

وهناك يتزوج بوالدة صدر الدين القونوي، وهو أحد تلاميذه المفضلين ثم لا يلبث أن يرتحل إلى أرمينيا، ومنها إلى شاطئ الفرات.

---

(1) ديوان (ترجمان الأشواق) شرحه بكتاب أسماه (ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق) مطبوع في الدار بتحقيق الأستاذ عبد الغني الفاسي.

(2) مطبوع في الدار بتحقيق الأستاذ أحمد شمس الدين.

وفي سنة 1211م نلتقي به في بغداد حيث يتصل بالصوفي المعروف شهاب الدين عمر السهروردي.

وفي سنة 1214م يعود إلى مكة ولا يكاد يستقر فيها حتى يجد أن عدداً من فقهائها المنافقين الدساسين قد جعلوا يشوهون سمعته ويرمونه بأن قصائده التي نشرها في ديوانه الرمزي منذ ثلاثة عشر عاماً كانت تصور غرامه المادي الواقعي بالفتاة «نظام» ابنة صديقه الشيخ الإيراني التي أشرنا آنفاً إلى أنه اتخذ منها رمزاً نقياً للحكمة الخالدة. وعندما تبيّن هذه التهمة الرخيصة وعرف مصادرها الحقيقية حمل عليها وعلى واضعيها حملة قوية كشفت زيفها للجميع بصورة جعلت القائمين بها يعترفون بأخطائهم ويعتذرون إليه عنها.

وبعد ذلك يرتحل إلى حلب فيقيم بها ردحاً من الزمن معززاً مكرماً من أميرها. وأخيراً يلقي عصا التسيار في دمشق في سنة 1223م حيث كان أميرها أحد تلاميذه المؤمنين بعلمه ونقائه ويظل بها يؤلف ويعلم، ويخرج التلاميذ والمريدين يحوطه الهدوء وتحف به السكينة حتى يتوفى بها في 28 ربيع الثاني من سنة 638 هـ الموافق 16 نوفمبر من سنة 1240م.

مؤلفاته وشيوخه

قال الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولياء» ضمن ترجمته للشيخ ابن عربي:

وقد اطلعت له على إجازة أجاز بها الملك المظفر ابن الملك العادل الأيوبي، ذكر فيها كثيراً من مشايخه ومؤلفاته، ولتمام الفائدة أذكرها هنا بحروفها فأقول: قال رضي الله عنه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، وبه نستعين: أقول وأنا محمد بن عليّ بن العربي الطائي الأندلسي الحاتمي، وهذا لفظي: استخرت الله تعالى، وأجزت السلطان الملك المظفر بهاء الدين غازي، ابن الملك العادل المرحوم إن شاء الله تعالى أبي بكر بن أيوب وأولاده، ولمن أدرك حياتي الرواية عني في جميع ما رويته عن أشياخي، من قراءة وسماع ومناولة وكتاب وإجازة، وجميع ما ألفته وصنفته من ضروب العلم، وما لنا من نثر ونظم على الشرط المعتبر بين أهل هذا الشأن، وتلفظت بالإجازة عند تعبيري هذا الخط، وذلك في غرة محرم سنة 632 بمحروسة دمشق وكان قد سألني في استدعائه أن أذكر من أسماء شيوخي ما تيسر لي ذكره منهم، وبعض مسموعاتي، وما تيسر من أسماء مصنفاتي، فأجبت استدعاءه نفعه الله تعالى بالعلم، وجعلنا وإياه من أهله، إنه وليّ كريم.

فمن شيوخنا أبو بكر بن أخلف اللخمي، قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع بكتاب الكافي لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني في مذاهب القراء السبعة المشهورين، وحدثني عن ابن المؤلف.

ومن شيوخنا في القراءة أبو الحسن شريح بن محمد بن محمد بن شريح الرعيني، عن أبيه المؤلف.

ومن شيوخنا في القرآن أيضاً أبو القاسم عبد الرحمٰن بن غالب الشراط، من أهل قرطبة، قرأت عليه أيضاً القرآن الكريم بالكتاب المذكور وحدثني أيضاً عن ابن المؤلف أبي الحسن شريح عن أبيه المؤلف محمد بن شريح المقري.

ومن شيوخنا القاضي أبو محمد عبد الله البازلي قاضي مدينة فاس، حدثني بكتاب «التبصرة في مذاهب القراء السبعة» لأبي محمد مكي المقري عن أبي بحر سفيان ابن القاضي، عن المؤلف بجمع تآليف مكي أيضاً، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي حمزة، سمعت عليه كتاب التيسير في مذاهب القراء السبعة لأبي عمرو عثمان بن أبي سعيد الداني المقري، حدثني به عن أبيه عن المؤلف وبجميع تآليف الداني وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد بن دربون، سمعت عليه كتاب البقعي لأبي عمر يوسف بن عبد البر النميري الشاطبي، وحدثني به عن أبي عمران موسى بن أبي بكر ابن المؤلف وبجميع تآليفه مثل الاستذكار، والتمهيد، والاستيعاب، والانتقاء، وأجاز لي إجازة عامة في الروايتين، أجاز لي أن أرويه عنه وجميع تآليفه.

ومن شيوخنا المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمٰن بن عبد الله الإشبيلي، حدثني بجميع مصنفاته في الحديث، وعين لي من أسمائها تلقين المبتدي، والأحكام الصغرى والوسطى والكبرى، وكتاب العاقة ونظمه ونثره، وحدثني الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح عنه.

ومن شيوخنا عبد الصمد بن محمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني، سمعت عليه صحيح مسلم حدثني به عن الفراوي عن عبد الغفار الجلودي، عن إبراهيم المروزي عن مسلم، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا يونس بن يحيى أبي الحسن العباسي الهاشمي، نزل مكة سمعت عليه كتباً كثيرة في الحديث والرقائق، منها كتاب صحيح البخاري.

ومن شيوخنا المكيين أبو شجاع زاهد بن رستم الأصفهاني إمام المقام بالحرم، سمعت عليه كتاب الترمذي لأبي عيسى، حدثني به عن الكرخي عن الخزاعي المحبوبي عن الترمذي، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا البرهان نصر بن أبي الفتوح بن عمر الحصري إمام مقام الحنابلة بالحرم الشريف، سمعت عليه كتباً كثيرة منها السنن لأبي داود السجستاني، حدثني بها، عن أبي جعفر بن عليّ بن السمناني، عن أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي البصري، عن أبي علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، عن أبي داود، وأجاز لي إجازة عامة. وحدثني بكتب ابن ثابت الخطيب عن أبي جعفر السمناني.

ومن شيوخنا سالم بن رزق الله الإفريقي، سمعت عليه كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري، حدثني به عنه وبجميع مصنفاته وتآليفه، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا محمد أبو الوليد بن أحمد بن محمد بن سبيل، قرأت عليه كثيراً من تآليفه، وناولني كتاب «نهاية المجتهد وكفاية المقتصد» والأحكام الشريفة من تأليفه.

ومن شيوخنا أبو عبد الله بن العزي الفاخري، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا أبو سعيد عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور الصفا، حدثني بكتب الواحدي كتابة عبد الجبار محمد بن أحمد الحواري عنه.

ومن شيوخنا أبو الوابل بن العربي، سمعت عليه سراج المهتدين للقاضي ابن العربي ابن عمه، حدثني به عنه، وأجازني إجازة عامة.

ومن شيوخنا أبو الثناء محمود بن المظفر اللبان، حدثني بكتب ابن خميس عنه.

ومنهم: محمد بن محمد بن محمد البكري، سمعت عليه رسالة القشيري،

وحدثني بها عن أبي الأسعد عبد الرحمٰن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، عن جده عبد الكريم، المؤلف، وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: ضياء الدين عبد الوهاب بن علي بن علي بن سكينة شيخ الشيوخ ببغداد، أجازني إجازة عامة، وأخذ عني وأخذت عنه، وسمعت عليه بمدينة باب السلام بحضور ابنه عبد الرزاق.

ومنهم: أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني، حدثني بتآليف البيهقي وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم وأجازني إجازة عامة.

ومنهم: أبو طاهر السلفي الأصبهاني، أجازني إجازة عامة، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن عمرو بن شريح الرعيني المقري، أجازني وكتب إليّ أن أروي عنه كتب عبد الرحمٰن السلمي، وحدثني عن محمد نصار البيهقي عنه.

ومنهم: جابر بن أيوب الحضرمي، أجازني إجازة عامة، وهو يروي عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني المقري.

وممن أجازني إجازة عامة محمد بن إسماعيل بن محمد القزويني، والحافظ الكبير ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق.

ومنهم: أبو القاسم خلف بن بشكوال.

ومنهم: القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن الشافعي.

ومنهم: يوسف بن الحسن بن أبي النقاب بن الحسين وأخوه أبو العباس أيضاً، وأجازنا أبو القاسم ذاكر بن كامل بن غالب.

ومنهم: محمد بن يوسف بن علي الغزنوي الخفّاف.

ومنهم: أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسن بن عمر بن أحمد القرشي المياستي.

ومنهم: أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن الجوزي الحافظ، كتب إليّ بالرواية عنه بجميع تآليفه ونظمه ونثره وسمى لنا من كتبه «صفوة الصفوة» و«مثير

الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن». وغير ذلك.

ومنهم: أبو بكر بن أبي الفتح الشيخاني.

ومنهم: المبارك بن علي بن الحسين الطباخ.

ومنهم: عبد الرحمٰن ابن الأستاذ، المعروف بابن علوان.

ومنهم: عبد الجليل الزنجاني.

ومنهم: أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن شداد الموصلي.

ومنهم: أحمد بن أبي منصور.

ومنهم: محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهب بن جامع بن عبدون البغدادي الصوفي يعرف بابن الثناء.

ومنهم: محمد بن أبي بكر الطوسي.

ومنهم: المهذب بن علي بن هبة الله الطيب الضرير.

ومنهم: ركن الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب، وأخوه شمس الدين أبو عبد الله.

ومنهم: القرماني ببغداد.

ومنهم: ثابت بن قرة الحاوي، قرأت عليه من كتبه وتآليفه، ووقفها بروايتها بمسجد العمادين الجلادين بالموصل.

ومنهم: عبد العزيز بن الأخضر.

ومنهم: أبو عمر عثمان بن أبي يعلى بن أبي عمر الأبهري الشافعي من أولاد البراء بن عازب.

ومنهم: سعيد بن محمد بن أبي المعالي.

ومنهم: عبد الحميد بن محمد بن علي بن أبي المرشد القزويني.

ومنهم: أبو النجيب القزويني.

ومنهم: محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الكريم الفاسي، قرأت عليه جميع مصنفاته.

ومنهم: أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسين الرازي.

ومنهم: أحمد بن منصور الجوزي.

ومنهم: أبو محمد بن إسحاق بن يوسف بن علي.

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحجري.

ومنهم: أبو الصبر أيوب بن أحمد المقري.

ومنهم: أبو بكر محمد بن عبيد السكسكي.

ومنهم: ابن مالك، حدثني بمقامات الحريري عن مصنفها.

ومنهم: عبد الودود بن سمحون قاضي النبك.

ومنهم: عبد المنعم بن القرشي الخزرجي.

ومنهم: علي بن عبد الواحد بن جامع.

ومنهم: أبو جعفر بن يحيى الورعي.

ومنهم: ابن هذيل.

ومنهم: أبو زيد السهيلي، حدثني بالروض الأُنُف في شرح السيرة والمعارف والأعلام وجميع تآليفه.

ومنهم: أبو عبيد الله بن الفخار المالقي المحدث.

ومنهم: أبو الحسن بن الصائغ الأنصاري.

ومنهم: عبد الجليل مؤلف المشكل في الحديث وشعب الإيمان.

ومنهم: أبو عبد الله بن المجاهد.

ومنهم: أبو عمران موسى بن عمران المزيلي.

ومنهم: الحاج محمد بن علي ابن أخت أبي الربيع المقومي.

ومنهم: عليّ بن النضر. ولولا خوف الملال وضيق الوقت لذكرنا جميع من سمعنا عليه ولقيناه.

وها أنا أذكر من تآليفي ما تيسّر فإنها كثيرة، وأصغرها جرماً كراسة واحدة،

وأكبرها ما يزيد على مائة مجلد وما بينهما.

فمن ذلك كتاب المصباح في الجمع بين الصحاح في الحديث. اختصار مسلم، اختصار البخاري، اختصار الترمذي، اختصار المحلى. الاحتفال فيما كان عليه رسول الله ﷺ من سني الأحوال.

وأما الحقائق في طريق الله تعالى التي هي نتائج الأعمال، فمن ذلك وهو السابع كتاب من تصانيفنا «الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل» أفرغ في أربعة وستين مجلداً إلى قوله تعالى في سورة الكهف [60]: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ﴾.

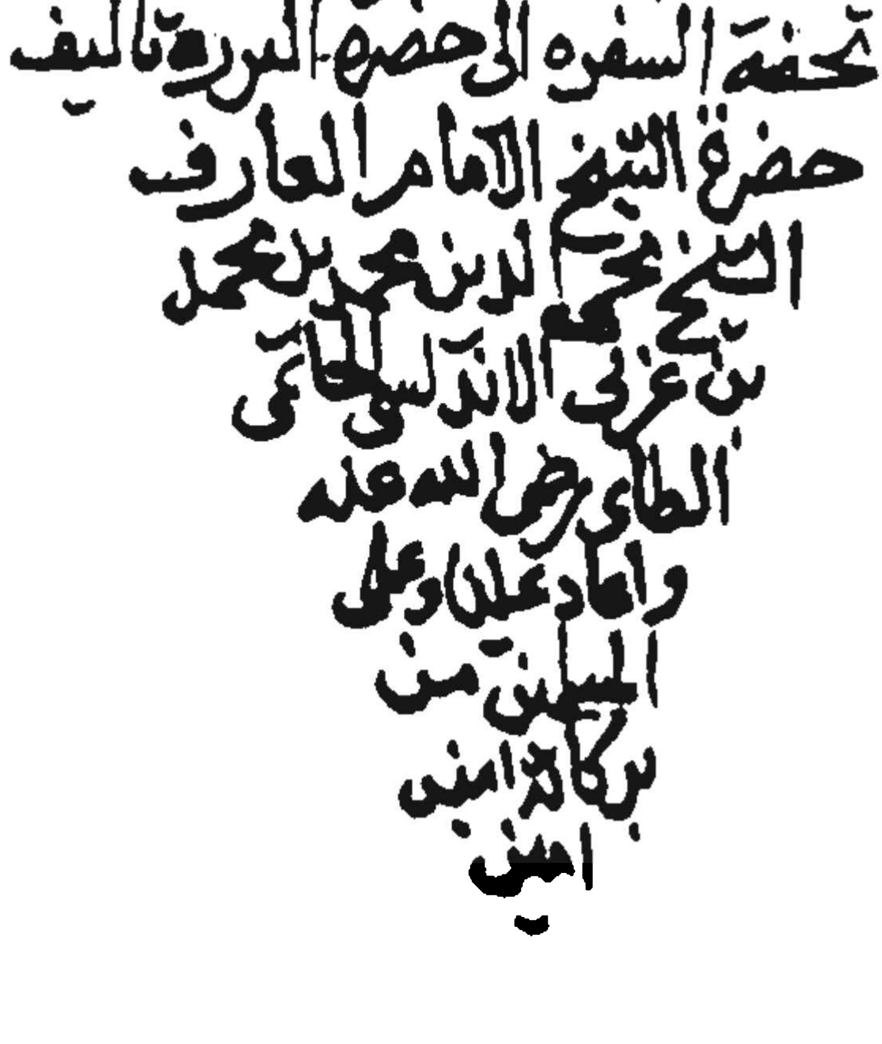
الجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة. مفتاح السعادة في معرفة الدخول إلى طريق الإرادة. المثلثات الواردة في القرآن العظيم. الأجوبة عن المسائل المنصورة. متابعة القطب. مناهج الارتقا إلى افتضاض أبكار النقا بجنان اللقا، يحوي ثلاثة آلاف مقام في طريق الله تعالى على ثلاثمائة باب، كل باب عشرة مقامات، كنه ما لا بد للمريد منه. المحكم في المحكم وأذان رسول الله ﷺ. الخلاف في آداب الملأ الأعلى.

كشف الغين: سرّ أسماء الله الحسنى. شفاء العليل في إيضاح السبيل. عقلة المستوفز جلاء القلوب. التحقيق في الكشف عن سرّ الصديق. الإعلام بإشارات أهل الأوهام والإفهام في شرحه. السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج. المنتخب في مآثر العرب. نتائج الأفكار وحدائق الأزهار. الميزان في حقيقة الإنسان. المحجة البيضاء. كنز الأبرار فيما روي عن النبي ﷺ من الأدعية والأذكار. مكافأة الأنوار فيما روي عن النبي ﷺ عن الله تعالى من الأخبار. الأربعين المتقابلة الأحاديث الأربعين في الطول. العين. التدبيرات الإلٰهية في إصلاح المحاكمة الإنسانية تعشق النفس بالجسم. إنزال الغيوب على سائر القلوب. أسرار قلوب العارفين. مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية. الخلاء. المنهج السديد في شرح أنس المنقطعين. الموعظة الحسنة. البغية. الدرة الفاخرة في ذكر من انتفعت به طريق الآخرة من إنسان وحيوان ونبات ومعدن. المبادي والغايات فيما في حروف المعجم من الآيات. مواقع النجوم.

الإنزالات. الموجود. حلية الأبدال. أنوار الفجر. الفتوحات المكية عشرون مجلداً. تاج التراجم. الفحوص. الرصوص. الشواهد. القطب والإمامين. روح القدس. التنزلات الموصلية. إشارات القرآن في العالم والإنسان. القسم الإلٰهي. الأقسام الإلٰهية. الجمال والجلال. المقنع في إيضاح السهل الممتنع. شروط أهل الطريق. الأنوار فيما يمنح صاحب الخلوة من الأسرار. عنقاء مغرب. عقائد أهل علم الكلام. الإيجاد والكون. الرسائل والإشارات في الأسرار. الإلٰهيات والكتابات. الحجة. إنشاء الجداول والدوائر. الأعلاق في مكارم الأخلاق. روضة العاشقين. الميم والواو والنون. المعارف الإلٰهية وهو الديوان. المبشرات. الرحلة. العوالي في أسانيد الأحاديث. الأحدية. الهوية الرحمية. الجامع وهو كتاب الجلالة العظيمة. المجد. الديمومة. الجود. القيومية. الإحسان. الفلك والسعادة. الحكمة. العزة. الأزل. النون. الإبداع. الخلق والأمر. القدم. الصادر والوارد. الملك. الوارد والواردات. القدس. الحياة. العلم. المشتبه. الفهوانية. الرقم. العين. المياه. ركن المدائن. المبادي. الزلفة. الرقيم. الدعاء. الإجابة. الرمز. الرتبة. البقاء. القدرة. الحكم والشرائع. الغيب. مفاتيح الغيب الخزائن العلمية. الرياح اللواقح. الريح العقيم. الكنز. التدبير والتفصيل. اللذة والألم. الحق. الحمد. المؤمن والمسلم والمحسن. القدر. الشأن. الوجود. التحويل. الوحي. الإنسان. التركيب. المعراج. الروائح والأنفاس. الملل. الأرواح. النحل، البرزخ. الحسن. القسطاس. القلم. اللوح. التحفة والعرافة. المعرفة. الأعراف. زيادة كبد النون. الإسفار في نتائج الأسفار. الأحجار المتفجرة والمتشققة والهابطة. الجبال. الطبق. النمل. العرش. مراتب الكشف. الأبيض. الكرسي. الفلك المشحون. الهباء. الجسم. الزمان. المكان. الحركة. العالم. الآباء العلويات والأمهات السفليات. النجم والشجر. سجود القلب. الرسالة والنبوة والمعرفة والولاية. الغايات التسعة عشر. الجنة. النار. الحضرة. المناظرة بين الإنسان الكامل. التفضيل بين الملك والبشر. المبشرات الكبرى. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار. الأولين. العبادة. ما يعول عليه وهو كتاب النصائح. إيجاز اللسان في الترجمة عن

القرآن. المعرفة. شرح الأسماء. الذخائر والأعلاق. الوسائل. النكاح المطلق. فصوص الحكم. نتائج الأذكار في المقربين والأبرار. اختصار السيرة النبوية المحمدية. اللوامح. اللوائح. الاسم والرسم. الفصل والوصل. مراتب العلوم. الوهب. انتقاش النور. النحل. الوجد. الطالب والمجذوب. الأدب. الحال. الشريعة والحقيقة. التحكم والشطح. الحق. المخلوق. الإفراد وذوو الأعداد. الملامية. الخوف والرجاء. القبض والبسط. الهبة والأنس. اللسانين. التواصي الليلية. الفناء والبقاء. الغيبة والحضور. الصحو والسكر. التجليات. القرب والبعد. المحو والإثبات. الخواطر. الشاهد والمشاهد. الكشف. الولد. التجريد والتفريد. العزة والاجتهاد. اللطائف والعوارف. الرياضة والتجلي. المحق والسحق. التودد والهجوم. التلوين والتمكين. اللمة والهمة. العزة والغيرة. الفتوح والمطالعات. الوقائع. الحرف المعني. التدني والتدلي. الرجعة. الستر والخلوة. النون. الختم والطبع. انتهت، ولعزتها ذكرتها هنا فإنها من أعظم كراماته رضي الله عنه، فلم أخرج بذكرها عن الصدد الذي ألف الكتاب لأجله، وقد رأيت كتاباً مستقلاً في ذكر مؤلفاته وفيه كثير منها لم يذكر هنا في هذه الإجازة، وكانت وفاته رضي الله عنه سنة 638 هجرية.

نماذج من صور المخطوط


تحفة السفرة الى حضرة البررة تأليف
حضرة الشيخ الامام العارف
الشيخ محيي الدين محمد بن محمد
بن عربي الاندلسي الحاتمي
الطائي رضي الله عنه
واعاد علينا وعلى
المسلمين من
بركاته امين
امين

غلاف المخطوط


بسم الله الرحمن الرحيم

الورقة الأولى من المخطوط


وحق لنا الاسم والرسم للعوام والعلم والعين للاوليا والصديقين
وحق اليقين للانبياء عليهم السلام واخص محمد صلى الله عليه وسلم
بحقيقة حق اليقين وحده والقبض والبسط من احوال المريد
فالقبض ينبعث عن هيبة الحضرة الالهية والبسط يكون من صفا القلب
ومن ارتقى عنهما كان عارفا بنفسه مطمئنة راضية قال عامر بن عبد الله
لا ابالي رايت امراة ام حايطا هذا فنا وفنا الفنا ان تفنى عنه الحظوظ
ولا يبقى له حظ والبقا ان يبقى بالله لا بنفسه وقال الجنيد رحمه الله
الفنا هو استعجام استعجام الكل عن وصفك بشغله
الكل فيك فيك بالكلية واشتغالك
بالله تعالى عنهم وعن نفسك وعن
الشغل والله تعالى اعلم تمت الرسالة
تحفة السفرة الى الحضرة
البررة بحمد الله
من حسن
توفيقه
ه

الصفحة الأخيرة من المخطوط

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل العلم مفتاح الجنة، وصير أسنانه اتباع السنَّة، وخصّ بعض أولي العلم بمزايا المنَّة، فسيّره في برّ الاقتراب وبحر الإيناس، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد خير الناس، الناجي متبعوه من الخناس والوسواس، والفائزة أمته بغنائم الكشف فوق الحد والقياس، وعلى آله المطهرين من كل الأرجاس.

وبعد: فهذا كتاب مسمى بـ«**تحفة السفرة إلى حضرة البررة**»، مشتمل على أبواب وفصول، نعوذ بالله من الاشتغال بالفضول(1)، وقد قرب الشروع في الأبواب والفصول، وحان الرحيل إلى النجاة والوصول.

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط: كان سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه يدعو بهذا الدعاء: إن الأمر عندك وهو محجوب عني، ولا أعلم أمراً أختاره لنفسي، فكن أنت المختار لي، واحملني في أجمل الأمور عندك وأحمدها عاقبة في الدين والدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير.

الباب الأول

في التوبة

الباب الأول: في التَّوبة

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: الآية 31].

وقال النبي ﷺ: «**أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا**»(1).

اعلم أن التوبة في اللغة: الرجوع والإنابة، وهي على قسمين: توبة العوام، وتوبة الخواص.

أما القسم الأول: فهو على ثلاث مراتب، **الأولى:** لعوام المؤمنين، وهي عن الصغائر التي صدرت منهم بسهو وغفلة وجهل ونسيان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النِّساء: الآية 17]، وهي مقام عوام المؤمنين وخواص الفاسقين الذين كانوا في الصنف الثالث من الأرواح.

الثانية: لعوام الفاسقين، وهي تطلق على ستة معان:

أولها: الندم على ما مضى من الذنوب.

وثانيها: ترك الذنوب في الحال، والعزم على الترك في الاستقبال.

وثالثها: رد المظالم إلى أهلها.

ورابعها: إعادة الفرائض التي فاتت.

---

(1) رواه الشهاب القضاعي في المسند، برقم (723) [1/ 420] ورواه عبد بن حميد في المسند برقم (1136) [1/ 344] ورواه غيرهما.

وخامسها: إذابة النفس في الطاعة كما ربيت في حلاوة المعصية.

وسادسها: البكاء في الأسحار بحضرة الملك الجبار من خشية الذنوب(1).

الثالثة: للكافرين توبتهم إلى الإيمان والإسلام، لأن حق العبد أن يعرف نفسه بالعبودية، ويعرف مولاه بالمعبودية، وكل من عرف نفسه بالعبودية، فقد عرف ربّه بالمعبودية، وكل من غفل عن عبودية المولى، وأشغلته الدنيا عن العقبى، لم يحصل له العرفان، وما ميز الشيطان عن الرحمٰن.

وأما القسم الثاني: فعلى مرتبتين:

الأولى: توبة خاص الخاص؛ توبتهم عن اشتغال القلوب بغير ذكر الله، وهي مقام خواص الأنبياء والأولياء الذين كانوا في الصنف الأول من الأرواح. وأشار إلى هذا المقام بقوله عليه السلام: «**إنه ليُران على قلبي فأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة**»(2) صدق رسول الله ﷺ.

الثانية: توبة الخواص وتوبتهم عن الأفكار والأخطار من واردات أمور الدنيا ووساوسها، وهي مقام عوام الأولياء وخواص المؤمنين الذين كانوا في الصنف الثاني من الأرواح.

فصل: في توبة المريدين

التوبة أصل كل مقام، وقوام كل مفتاح، ومفتاح كل حال، وهي أول المقامات، وهي بمثابة الأرض للبناء، فمن لا أرض له لا بناء له، ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام.

---

(1) جاء في الأصل المخطوط: «قل: يا إلٰه العالمين، يا مَن توجهت إليه قلوب السائلين، وعنده عكفت قلوب الآملين خلصني من ظلمة الغفلة والبعاد، وامنن عليَّ كما مننت على أهل القُرب والمحبة، اللهمَّ أشغل قلوبنا بذكرك، وزيِّن ألسنتنا بشكرك، ووفقنا للقيام بأمرك، وأعِذنا من وِبال مكرك، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين».

(2) صح بلفظ: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»، رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب الاستغفار... حديث رقم (2702) [4/ 2075] ورواه غيره.

والتوبة على ضربين: الإنابة، وهي أن تخاف من الله من أجل قدرته عليك والاستحياء منه، وهي: أن تستحي من الله لقربه منك. وقيل: الرجوع عن كل شيء سوى الله تعالى.

الباب الثاني

في الاعتقاد

الباب الثاني: في الاعتقاد

وهو على ضربين: خاص وعام.

فالخاص: أن يعتقد الشخص مذهب إمام معين يعمل بأقواله ويترك بأقواله، ولا يبالي بقول أحد غيره.

أما العام: فهو أن يعمل الشخص بالعزائم بأقوال جميع الأئمة لكن لا يأخذ برخصهم.

وسئل الحسين بن منصور الحلاج عن الاعتقاد، فقال: ما اخترت مذهب أحد بعينه ولكن أعمل ما هو أشق في المذاهب كلها.

فليكن المريد على اعتقاد السلف من أهل السنَّة، برئياً عن الرفض والجبر، والتشبيه والتحديد والتجسيم، ولا طعاناً على السلف، ولا على المذاهب كلها.

الباب الثالث

في الإخلاص

الباب الثالث: في الإخلاص

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: الآية 3]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: الآية 5].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا كان يوم القيامة يجيء الإخلاص والشرك يحبوان بين يدي الربّ، فيقول الربّ للإخلاص: انطلق أنت وأهلك إلى الجنة، ويقول للشرك: انطلق أنت وأهلك إلى النار**»[1].

الإخلاص عمل قلبي لا يطلع عليه غير الله تعالى، وهو: أن تعبد الله بكليتك ولا تشارك فيه غيره. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: الآية 110].

وقيل: تصفية العمل من كل شوب.

وروي عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال: سمعت علي بن سعيد وسألته عن الإخلاص[2]، قال: سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص قال: سألت أبا يعقوب

(1) رواه الديلمي في مسند الفردوس، حديث رقم (8873) [5/ 497].

(2) جاء في هامش الأصل المخطوط: «الفرق بين الصدق والإخلاص أن الصدق هو اجتماعك على قصد الشيء وعمله بجميعك بحيث لا يتخلف عنه منك شيء فلا تعمله ببعضك بل بكلك ناصحاً لله تعالى. والإخلاص هو تخليص نظرك في ذلك العمل عن رؤية ما سوى الله عزَّ وجل وملاحظة غيره من دنيا أو جاه أو رسالة أو طلب منزلة. فمن اجتمع في أعماله ومساعيه الظاهرة والباطنة الصدق والإخلاص استقام عمله ورفع مع المشيئة إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: الآية 10] . وعلامة الصادق إذا توجه لله تعالى عليه أمر مثل صلاة أو صوم أو =

الشريطي عن الإخلاص قال: سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص قال: سألت أحمد بن علي الهجيمي عن الإخلاص قال: سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص قال: سألت الحسن البصري عن الإخلاص قال: سألت حذيفة عن الإخلاص قال: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص قال: «**سألت جبريل عن الإخلاص قال: سألت الله عزَّ وجلَّ عن الإخلاص قال: هو سرّ من أسراري أودعته قلب من أحببت من عبادي**».

وقيل: ضدّ الإخلاص الرياء، فمن عمل عملاً ولم يكن معه رياء فهو إخلاص.

فالحاصل: أن الإخلاص عمل ينقطع النظر فيه عن غير الله تعالى.

=

حج أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو غير ذلك من الأوامر الواجبة، أو توجه عليه نهي مثل غضّ للبصر أو اجتناب طعام شبهة أو تنزيه سمع عن الفواحش والخنا أو توجه إلى الله عزَّ وجل ابتداءاً بعمل من الأعمال الواجبة أو المندوبة أن يبذل في ذلك العمل جهده وطاقته كما ينصح العبد البار الناصح لسيده في بعثه في مهم فإنه يجتهد على أن يأخذ سيده أحسن الحوائج وأطرافها، وكذلك يكون عند المناهي ببذل جهده وطاقته في التوقي عن دقائقها ورقائقها.

وهذا الناصح لله عزَّ وجل في أعماله لم يتخلف في ذلك العمل بل جهد في ذلك العمل لله عزَّ وجل بجسمه ونفسه وعقله وقلبه وروحه، وهذا الناصح هو الصادق، فإن انضاف إليه الإخلاص بحيث لم يُشرك في قصده أحداً غير الله عزَّ وجل كمل قصده فيه كمال إخلاص، فكان ذلك منه دليلاً على صدقه في القصد أيضاً.

ومَن صدق في تحمله ولم يصدق في قصده لم يكن صادقاً حتى يخلص، فإذا أخلص سمِّي صادقاً كامل الصدق ولا يتم له ذلك العمل مع الصدق والإخلاص حتى يكون متابعًا فيه كتاب الله وسنة رسوله، وكل صادق مخلص، ولا ينعكس فقد يكون المخلص الذي لم يخلط غير الله في عمله لم يبذل له في ذلك العمل جهده.

الباب الرابع

في المحبة

الباب الرابع: في المحبَّة

قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: الآية 54]، وقال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 31].

وقال النبي ﷺ: «**يقول الله عزَّ وجل: يا جبريل قد أحببت فلاناً فأَحبَّه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم توضع له المحبة في الأرض**»(1).

اعلم أنها أن تهب كلك لمن أحببت ولا يبقى لك منك شيء، وقيل: أن تحب الله بكليتك بحيث لا يبقى شيء لغيره.

ولا تحصل حقيقة المحبة إلا بعد سلامة القلب عن جميع كدورات النفس، فإذا استقرّت محبة الله في القلب خرجت محبة غيره، لأن المحبة صفة محرقة تحرق كل شيء ليس من جنسها:

قد لَسَعَت حيّة الهوى كبدي ... فلا طبيب لها ولا راقي
إلّا الحبيب الذي شُغِفْت به ... فإنَّهُ رقيتي وترياقي

قال الجنيد: المحبة دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب كلام الرب مع جبريل..، حديث رقم (7047) [6/ 2721]، ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الاستدلال على محبة الله جل وعلا..، حديث رقم (364) [2/ 85] ورواه غيرهما.

وقيل: علامة المحبة قطع شهوات الدنيا والآخرة[1]. شعر:

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت إذ رأتك النفس أهوائي
فصار يحسدني مَن كنتُ أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بحبك يا ديني ودنيائي

وأنشدت رابعة:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وقال يحيى بن معاذ: صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين، وعجبت كيف يدّعي أحد محبة الله من غير اجتناب محارمه.

وعن بعض الصالحين: من ادَّعى محبة الله من غير اجتناب محارمه فهو كذاب، ومن ادَّعى محبة الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب، ومن ادَّعى صحبة رسول الله ﷺ من غير حبّ الله فهو كذاب.

قالت رابعة:

تعصي الإلٰه وأنت تُظهر حبّه هذا لعمري في الفِعال بديع
لو كان حبّك صادقاً لأطعته إن المحبّ لمن يحبّ مُطِيع

قيل: ظاهر المحبة رضا المحبوب، وباطنها إعطاء القلب إلى المحبوب، بحيث لا يبقى فيه بقية لغيره. شعر:

أحبك لا أرجو بذلك جنَّة ولا أتقي ناراً وأنت مُراد
إنْ كنتَ لي مولًى فأية جنَّة أو أي نار تُتَّقى وتُراد

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:

يا مَن يحب أنين العبد والندم يا من لديه دواء الدَّاء والسَّقم
نامت العيون وعين العبد ساهرة تبكي ببابك وسط الليل في الظُلم
لا تقطعنَّ رجائي فيك يا صمدي يا غافر الذَّنب للرَّاجين بالكرم
ارحم بفضلك لا تنظر إلى عملي إنَّ الكريم كثير العفو عن خَدَم

الباب الخامس

في الشوق

الباب الخامس: في الشَّوق

الشوق هو نتيجة المحبة لأنه إذا استقرّت ظهر الشوق.

وأنكر جماعة مقام الشوق لأنه إلى غائب، ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشتاق. شعر:

هواك هوًى لم يألف القلب غيره   ففي سرّ قلبي يا حبيب له حضو
أحبّك ملء القلب حيّاً وميّتاً   فلي عيشه حلو ولي ميته حلو

قال الأنطاكي: يشتاق الغائب وما غبت عنه مذ وجدته.

وقال النصرأباذي: للخلق مقام الشوق لا مقام الاشتياق، لأن من دخل في مقام الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار. شعر:

هامَ الفؤاد بذكر الله وانسحبت   عليه أذيال هذا الوجد مذ سبغا
إنَّ الفؤاد من التهيام في شُغل   لا ينقضي دام مشغولاً ولا فرُغا

الباب السادس

في العشق

الباب السادس: في العشق

غاية المحبة عشق[1]، فالمحبة[2] صفة عامة، والعشق صفة خاصة، ومحله سويداء القلب. فالمحبة قد تكون كسبية، والعشق لا يكون إلا موهبة، وحين يشتد العشق يورث الحيرة. شعر:

قد تحيَّرت فيكَ خُذ بِيدي يا دَليلاً لِمَن تَحيَّر فيكَ

وعلامة العشق أن لا يبالي بترك نفسه لأجله، كما قال الحسين بن منصور، شعر:

اقتُلُوني يا ثقَاتِي إنَّ فِي قَتْلِي حَياتِي

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:

شاع عشقي في البرايا وعلن كن دليلي في الورى يا ذا المنن
صحّ عند الناس أني عاشق غير أن لم يعرفوا عشقي لمن
لي حبيب لست أهوى غيره لم يزل يلطف بي طول الزمن
حاضر ما غاب عني ساعة وهو في قلبي وسري قد سكن
يا حبيبي بلسان العربي ولسان الفارسي محبوب مَن
خذ فؤادي ورقادي ثمنًا لك روحي لك سرِّي والعلن
وإذا لم أفتخر بين الورى بك يا مولى الموالي فَبِمَن
أنا عبدٌ لكَ قد أوثقني لا تقل لي بعد لم أنت لِمن
واقف بالباب أرجو كرمًا أنا عبد مُستهام ممتحن

(2) جاء في هامش الأصل المخطوط:

قيل: من علامة المحب لله متابعته لحبيب الله في أخلاقه وأحواله وأفعاله وأوامره لأنه لا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه.

وحـــيَـــاتِـــي فـــي مَـــمَـــاتِـــي ومَـــمَـــاتِـــي فـــي حَـــيـــاتِـــي

قال بعض العلماء: المحبة والعشق يتولدان من الشهوة وتعالى ربنا عنها.

قلنا: المحبة على نوعين: محبة قائمة بالروح، ومحبة تتولد من الشهوة. والشهوة صفة قائمة بالنفس، فمتى غلبت محبة الروح تسمى عشقاً، ومتى غلبت شهوة النفس تسمى هوىً(1).

فالمحبة التي تتولد من شهوة النفس غير المحبة التي هي صفة قائمة بالروح، فإطلاق المحبة على الله تعالى هي هذه.

ونقول: لم تحصل المحبَّة من الشهوة لأنه إذا ضعف الجسم وقلّت الشهوة تحصل المحبة غاية، وتقلّ الشهوة غاية.

بواعث المحبة في الإنسان متنوعة، **فمنها:** محبة الروح، ومحبة القلب، ومحبة النفس، ومحبة العقل.

أما الأولى فنوعان: حب عام، وحب خاص.

فالحب العام مفسر بامتثال الأوامر، وهذا الحب الذي يكون من الصفات وفيه مدخل لكسب العبد، وأما الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح، وهو الحب الذي فيه السكرات، وهو الاصطناع من الله الكريم لعبده.

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
«قال الشيخ الشاذلي رضي الله عنه: قال لي رجل: أوصني، فقلت له: لا تتخذ المعصية وثناً، ولا الدنيا بالحب لها وثناً، واهجر النفس والهوى، واستنصر بالله فنعم المولى، وعليك بالتحقيق في الإيمان، وبالشهود في الإحسان، والتزم ذلك علماً، تجد المزيد حكماً، واستمطر من الله، ولا ترجو شيئاً سوى الله ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ [النَّمل: الآية 60] ﴿تَعَـٰلَى عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النّحل: الآية 3] . قال: فهل تجد لذلك من أسماء الله اسماً؟ فقلت له: نعم، يا الله، يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، كما أحسنت إلي أولاً فأحسن إليَّ آخراً. و﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرَّحمٰن: 60]، قال: وما الذي أحسن به إليك أولاً؟ فقلت له: أحسن لي بأربعة أشياء: بالتوحيد، والإيمان، والعقل والبرهان. فكما أحسن بالإيمان أرجو أن يُحسن بالإحسان، وكما أحسن بالعقل الفرعي أرجو أن يحسن بالعقل الأصلي، وكما أحسن بالبرهان أرجو أن يحسن بالعيان، فقال: أحسنت أحسنت، فوجدته يسأل وهو عالم.

وهذا الحب يكون من الأحوال، لأنه محض موهبة وليس للكسب فيه مدخل. وأما محبة القلب فهي اختيار محبة المحبوب على كل ما عداه(*). وأما محبة النفس فهي تتولد من الشهوة وهي أن تؤثر حب الدنيا على حب الله تعالى.

وذكرها الله تعالى في سبعة أشياء قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 14]، وهي رأس كل خطيئة كما قال عليه السلام: «**حُبُّ الدُّنيا رأسُ كلِّ خطيئة**»[1]. فمن قتل نفسه بالمجاهدة اندفعت هذه المحبة عنها[2].

وأما محبة العقل: فهي صفة يقتضيها العقل كمحبة المحسن والمنعم والعدل وغيره.

(*) جاء في هامش الأصل المخوط: هذا الدعاء علَّمه الله سبحانه وتعالى إبراهيم بن أدهم حين سأله أن يعطيه ما يسكن به قلبه، فعاتبه ربّه بقوله: يا إبراهيم هل يسكن المشتاق دون لقاء حبيبه، فطلب المغفرة من الله وقال: علمني كيف أقول؟ فقال: قل اللهمَّ رضني بقضائك، وصبِّرني على بلائك، وأوزعني شكر نعمائك.

(1) رواه الأصبهاني في حلية الأولياء من كلام عيسى بن مريم عليه السلام، [6/ 388] وتتمته: «والمال فيه داء كثير، قيل: يا روح الله ما داؤه، قال: لا يؤدي حقه، قال: فإن أدى حقه؟ قال: لا يسلم من الفخر والخيلاء، قالوا: فإن سلم من الفخر والخيلاء، قال: يشغله استصلاحه عن ذكر الله تعالى.

(2) جاء في هامش الأصل المخطوط:
قال الشاذلي رضي الله عنه: مَن فارق المعاصي في ظاهره، ونبذ حب الدنيا من باطنه، ولزم حفظ جوارحه، ومراعاة سرّه، أتته الزوائد من ربه، ووكل به حارس يحرسه من عنده، وجمعه في سرّه، وأخذ الله بيده حفظاً ورفقاً في جميع أموره. والزوائد: زوائد العلم واليقين والمعرفة.
وقال رضي الله عنه: انتزع من محادثة النفس، وإرادة الشيطان، وطاعة الهوى، وحركة الزمن تكن صالحاً، واتق الله في الخطرة والهمة وحركة السر تكن صادقاً، وإن تكرر عليك شيء من ذلك فاهجر الأسباب والأوطان والأخوان ومواضع الفتن تكن مهاجراً، وإن واقعت شيئاً من ذلك فتب إلى الله واستغفره والجأ إليه واستغث به تكن مؤمناً، واتخذ الطهارة والصوم والصلاة والصبر والذكر وتلاوة القرآن والتبري من الحول والقوة تكن سالماً، وإذا غلبت فاتخذ الإيمان حصناً، وإن دخل عليك فسلم الأمر لله وعليك بالتوحيد والإيمان والمعرفة والمحبة لله، وغرّق الدنيا في بحر التوحيد قبل أن تغرقك.

الباب السابع

في كيفية الرياضات

الباب السابع: في كيفية الرياضات

قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشّمس: الآية 7].

الوصول إلى المقامات لا يحصل إلا بتزكية النفس، وتنقية القلب، وتخلية الروح، والمقصود بالذات تخلية الروح ولا تحصل تخلية الروح إلا بتصفية القلب، ولا تحصل تصفية القلب إلا بتزكية النفس، فالتزكية من مقدمة الواجب.

وذهب بعض المشايخ إلى أن تزكية النفس تحصل بتصفية القلب، لأنه من اشتغل بتزكية النفس لا تحصل تزكيتها بالتمام والكمال في مدة طويلة، ومن اشتغل بتصفية القلب تحصل تزكيتها في مدة قليلة.

فصل: في تزكية النفس

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يُوسُف: الآية 53]. وقال عليه السلام: «**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**» الحديث.

النفس قوة شهوية تتعلق بجميع البدن على السوية، وهي منشأ الصفات الذميمة، وتزكيتها طهارتها عن جميع الصفات الذميمة، واتصافها بالصفات الحميدة(1).

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
إن أهل الصفة كانوا أربعمائة وكان ﷺ يجالسهم ويؤانسهم، فقد جاء في الحديث: «**عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان في قلوبكم**». وجاء أيضاً: «**مَن ترك ثوب الجمال وهو قادر عليه ألبسه الله تعالى من حلل الكرامة يوم القيامة**». ومن لبسه إظهاراً =

اعلم أن الغضب والشهوة صفتان ذاتيتان للنفس، وجميع الأوصاف تتولد منهما، وتزكيتها باعتدالهما. لأن الهوى إذا تجاوز يتولد منه الشره والحرص، والأمل، والخسة، والدناء، والبخل، والجبن، والغيبة، والبهتان.

وإذا تجاوز الغضب يتولد التكبُّر، والعداوة، والحِدَة، والعُجب، والفخر، والخيلاء، والكذب.

فإن قدر على إنقاذه يتولد الحقد، وإن لم يقدر يتولد العجز والكسل، وإن تعديا يتولد الحسد.

وإذا اعتدلت صفة الهوى يظهر في النفس الحياء، والجود، والسخاء، والمحبة، والشفقة، والتعظيم، والصبر.

وإن اعتدلت صفة الغضب فيظهر فيها التواضع، والحلم، والمروءة[1]، والقناعة[2]، والشجاعة، والبذل، والإيثار. وإن تعادلتا يظهر فيها التزكية، فالتزكية تحصل باعتدال هاتين الصفتين.

فصل: في تصفية القلب

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية 88]. وقال عليه السلام: «**إن في بني آدم مضغة...**» الحديث[3].

= للزهد في الدنيا وليس بزاهد أُلقي في النار لأن ذلك من الرياء.
وكان سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه إذا لبس ثوباً أو عمامة لا يقلعها حتى تذوب عملاً بقوله ﷺ: «**إن الله يحب المبتذل الذي لا يبالي ما لبس**»، إلا ما اضطر إليه من الحاجة الإنسانية من نحو مطعوم وملبوس ومسكن.

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
وهي الخروج عن الشهوات النفسانية والمتمتعات الحيوانية.

(2) جاء في هامش الأصل المخطوط:
هي الرضا بالكفاف والتمسك بالعفاف، وقيل: ترك الشوق إلى المفقود، والرضا باليسير من الموجود.

(3) نص الحديث: «**وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**». رواه البخاري في صحيحه، باب فضل من استبرأ لدينه، =

القلب مضغة معلقة تحت الصدر في الجنب الأيسر.

اعلم أن للقلب صلاحاً وفساداً، وصلاحه يكون في صفائه، وفساده يكون في كدورته. وصفاؤه يكون بسلامة حواسه، وكدورته تكون في نقصان حواسه، فإذا سلمت الحواس فقد سلم القلب.

اعلم أن حواس القلب خمس: سمع يسمع الغيب، وبصر يبصر الغيب، وشم يشم رائحة الغيب، وذوق يجد حلاوة المحبة والإيمان، ولمس يدرك به المعقول. فإذا سلمت حواسه حصلت سلامته، فإذا سلمت فقد سلمت النفس. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: الآية 179]، وقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: الآية 46].

فصل

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نُوح: الآية 14].

للقلب سبعة أطوار كما أن للجسد سبعة أعضاء.

الطور الأول: يسمى صدراً، وهو معدن الإسلام ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: الآية 22] وإن لم يتصف بصفة الإسلام فهو معدن الكفر كما قال: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النّحل: الآية 106]، ومحل وسواس الشياطين، وتسويل النفس، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس: الآية 5] وهو جلد القلب.

الطور الثاني: يسمى قلباً، وهو معدن الإيمان كما قال الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجَادلة: الآية 22]. ومحل نور العقل كما قال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعرَاف: الآية 179]، ومحل الرؤية كما قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى

= حديث رقم (52) [1/ 28]، ورواه مسلم في صحيحه، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (1599) [3/ 1219] ورواه غيرهما.

ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحَجّ: الآية 46].

والطور الثالث: يسمى شغافاً، وهو معدن المحبة والعشق والشفقة على الخلق ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يُوسُف: الآية 30].

والطور الرابع: يسمى فؤاداً، وهو معدن المشاهدة ومحل الرؤية الإلٰهية: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجْم: الآية 11].

والطور الخامس: يسمى محبة القلب، وهي معدن محبة الحضرة الإلٰهية.

والطور السادس: يسمى سويداء القلب، وهي معدن المكاشفات الغيبية ومحل العلوم اللدنية، ومنبع الأسرار الإلٰهية.

والطور السابع: المهجة، وهي معدن ظهور أنوار التجلي.

اعلم أن مثل القلب مثل المرآة يصدأ كما قال رسول الله ﷺ: «**إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد**»[1] قيل: فما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: «**ذِكْرُ الله وتلاوة القرآن**».

وجلاؤها لا يحصل إلا بالخلوة والعزلة ومداومة الذكر، فإن انكشف صدأه يتجلى فيه الروح فيظهر فيه مشاهدات الأنوار ومكاشفات الغيب، وتجليات الربوبية، على حسب المقامات والحالات.

فصل: في تحليَة الروح

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى﴾ [الإسرَاء: الآية 85]. وقال النبي ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة**»[2] الحديث.

---

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (3924) وعزاه إلى عبد الله بن عمر في المسند عن ابن شاهين في الترغيب في الذكر، ونصه كما ورد: قال رسول الله ﷺ: «**إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: فما جلاؤها يا رسول الله، قال: كثرة تلاوة كتاب الله تعالى، وكثرة الذكر لله عزَّ وجلَّ**».

(2) والحديث كاملاً هو: «**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» رواه البخاري في صحيحه، باب الأرواح جنود مجندة، حديث رقم (3158) [3/ 1213]، =

الروح جوهر لطيف نوراني غني عن التغذية، وقيل: مصور بصورة آدمي، وروح كل شخص مصور بصورة جسده كما قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته**»(1) أي خلق قالبه على صورة روحه.

أقول: وهذا حين الانكشاف التام لا خلقة، وإن قال البعض بالخلقة، لكني أقول بالتمثيل أولى ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريَم: الآية 17] وهو من عالم الأمر(*)، وعالم الأمر ليس له مقدار ومكنة لأنه صار موجوداً بواسطة الكاف والنون، وعالم الخلق ظهر بواسطة المواد وامتداد الأيام، قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحَديد: الآية 4]، وله ستَّة أحوال:

حالة العدم: قال الله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ [الإنسَان: الآية 1].

وحالة الوجود في عالم الأرواح: قال النبي ﷺ: «**إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام**»(2).

وحالة التعلُّق. وحالة النفخ: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحِجر: الآية 29].

= ورواه مسلم في صحيحه، باب الأرواح جنود مجندة، حديث رقم (2638) [4/ 2031] ورواه غيرهما.

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب بدء السلام، حديث رقم (5873) [5/ 2299]، ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر وصف طول آدم حيث خلقه الله جل وعلا، حديث رقم (6162) [14/ 33] ورواه غيرهما.

(*) جاء في هامش الأصل المخطوط: سأل علي رضي الله عنه ابنه الحسن عن أشياء من المروءة فقال: يا بني ما السداد؟ قال: يا أبت رفع المنكر بالمعروف. قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المرء حاله. قال: فما السماحة؟ قال: البذل في العسر واليسر. قال: فما الشح؟ فقال: أن ترى ما في يدك شرفاً وما أنفقته تلفاً. قال: فما الإخاء؟ قال: الوفاء في الشدّة والرخاء، قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصديق والنكول عن العدو، قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى والزيادة في الدنيا، قال: فما القيمة الباردة؟ قال: كظم الغيظ وملكة النفس. قال: فما الغنى؟ قال: رضا النفس بما قسم الله لها وإن قل فإن الغنى غنى النفس. قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء.

(2) أورده العجلوني في كشف الخفاء، تنبيه: هل الأرواح خلقت قبل الأجساد أم معها...، [1/ 122].

وحالة المفارقة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عِمرَان: الآية 185].

وحالة الإعادة: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: الآية 21].

أما فائدة حالة العدم فلحصول المعرفة بخلقة نفسه وبقدم صانعه.

وأما فائدة حالة الوجود في عالم الأرواح فلمعرفة الله بالصفة الذاتية من القادرية والعالمية والحياتية والوجودية والسمعية والبصرية والمتكلمية والمريدية.

وأما فائدة تعلقه بالجسد، فلاكتساب كمال المعرفة في عالم الغيب والشهادة من الجزئيات والكليات.

وأما فائدة نفخ الروح في الجسد، فلتحصيل المعرفة بالصفات الفعلية من الرازقية والتوابية والغفارية والرحمانية والرحيمية والمنعمية والمحسنية والوهابية، وكشوب الرزق في مقام العندية الذي قال الله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القَمَر: الآية 55].

وأما فائدة الإعادة، فلحصول التنعمات الأخروية التي قال عنها الله في حديث قدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[1].

فصل

إذا اشتغلت النفس بالعصيان واتباع الشيطان، يظهر في الروح نقطة سوداء، فمتى يزداد عصيان النفس يزداد سواد الروح حتى إذا اسودت النفس بالكلية فانسدت أبواب لطف الله تعالى لأن له وجهين:

وجه إلى عالم الغيب.

ووجه إلى عالم الشهادة.

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب ما جاء في صفة الجنة...، حديث رقم (3072) [3/ 1185]، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها..، حديث رقم (2824) [4/ 2174] ورواه غيرهما.

فكل فيض[1] يصل إليه من حضرة الله تعالى يؤدي إلى القلب، والقلب يقسم إلى سائر الأعضاء فيظهر في الأعضاء فعل مناسب لذلك الفيض[2]. فانجلاء سواده يحصل بالإيمان كما قال علي رضي الله عنه: إن الإيمان يبدو لمظة[3] في القلب، فمتى ازداد الإيمان ازدادت اللمظة، فإذا ازداد الإيمان انجلى حتى ينجلي بالكلية وزالت حجبه، فإذا انجلى بالكلية فيظهر فيه مشاهدات الروحانية والغيبية.

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
الفيض إذا سال يقال: فاض الماء من جانب الوادي السيلان من جانب. الفيض في اللغة: العطاء، وفي الاصطلاح إنما يطلق على فعل فاعل يفعل دائماً لا لغرض ولا لعوض.

(2) جاء في هامش الأصل: الفيض الأقدس: هو عبارة عن التجلي الحسي الذاتي الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها في الحضرة العلمية، ثم العينية كما قال عليه الصلاة والسلام [في الحديث القدسي]: «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف**» الحديث.
والفيض المقدس: عبارة عن التجليات الأسمائية الموجبة لظهور ما يقتضيه استعدادات تلك الأعيان في الخارج. فالفيض المقدس: مرتب على الفيض الأقدس، فبالأول عقل الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية في العلم، وبالثاني تحصّل تلك الأعيان في الخارج مع لوازمها وتوابعها.

(3) اللمظة: اليسير من السمن ونحوه تأخذه بإصبعك كالجوزة.

الباب الثامن

في بيان الخلوة

وآدابها وشروطها

الباب الثامن: في بيان الخلوة وآدابها وشروطها

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البَقَرَة: الآية 51]. وقال النبي ﷺ: **«مَن أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»**(1).

اعلم أن الوصول لا يحصل إلا بالخلوة والانقطاع عن الخلق، وهي مبنية على عشرة شرائط:

الأول: القعود في بيت مظلم ضيق.

الثاني: المداومة على الوضوء.

الثالث: المداومة على الذكر(2)، وهي كلمة لا إلٰه إلا الله.

الرابع: تفريغ الخواطر عن جميع الشواغل.

الخامس: المداومة على الصوم.

السادس(3): المداومة على قلة الكلام(4).

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2361) [2/ 292] وقال: رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن أبي أيوب وقال في اللآلئ: رواه أحمد وغيره عن مكحول مرسلاً بلفظ: من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه...

(2) جاء في هامش الأصل المخطوط:
دوام الذكر القوي الخفي المشروط بنفي ما سوى الله عن القلب وإثبات محبته فيه. الرسالة للسمناني.

(3) جاء في هامش الأصل المخطوط:
سادسها: ملازمة الذكر، وهي الخروج عن ذكر ما سوى الله بنسيان غيره بأن يلازم مراقبته تعالى دائماً وإذا حصلت المراقبة والمراد بها المشاهدة لم يحتج إلى الذكر. قال بعض المحققين: بل لا يتصور الذكر معها لأنه يقتضي النسيان.

(4) جاء في هامش الأصل المخطوط:
على الصمت غير الذكر. سمناني.

السابع: المراقبة لطلب الهمة والمعاونة.

الثامن: ترك الاعتراض على الله تعالى لحصول القبض والبسط والألم والراحة، والصحة والسقم.

التاسع[1]: وهو انقطاع النظر عن كل ما سوى الله تعالى.

العاشر: الصبر على الشدائد[2].

وأما الآداب فأولها: تقليل الطعام بحيث لا يضعف الجسم[3] ويبقى له قوة الذكر.

وثانيها: قلة النوم بحيث لا يضع الجنب على الأرض.

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
تاسعها: وهي الخروج عن حوله وقوته مراقباً لمواهب الحق متعرضاً لنغمات ألطافه معرضاً عما سواه، مستغرقاً في بحر تقواه. سمناني.

(2) جاء في هامش الأصل المخطوط:
وهو ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى.
وقيل: هو الخروج عن حظوظ النفس بالمجاهدة في الطاعة لتصفية النفس وتخلية الروح، وهذا تعريف له ببعض لوازمه، والصبر طريق التوكل، فمن لازم الصبر ولم يرد مفارقته، أحب البلاء، ولذلك إن الله إذا أبكى أولياءه ببلائه لم يعذبهم به بل يعذبه بهم، فالبلاء عذاب على العوام، والخواص عذاب على البلاء.
وهذا من جنس التخيلات الشعرية كما في قول الشاعر:

وكم غمرة قد جرعتني كؤوسها فجرعتها من صبري اليوم أكؤسا

إن العوام لا يصبرون على البلاء، وإلا فالصبر كما قال سهل التستري: «مقدّس تقدَّس به الأشياء»، أي تطهر به، فهو يطهر العوام من الذنوب والخواص من الاشتغال بغير الله.
فالبلاء إنما يكون عذاباً على العامي إذا لم يصبر عليه.

(3) جاء في هامش الأصل المخطوط:
صورة الأكل في الرياضة في أوان العزلة وفي الخلوة، وهو أن يأخذ اللقمة ويسمِّي عليها خالقها بذلٍّ وافتقار، وخضوع وخشوع، فإذا وضعتها في فيك فأكثر مضغها جيداً، فإذا ابتلعتها فاحمد الله الذي يسوغها حمدًا يأتيك في حضور ومراقبة وتربص حتى تعلم أنها قد استقرت في المعدة، ثم تأخذ بعد ذلك لقمة أخرى وتفعل بها مثل الأولى... وهكذا إلى أن ينتهي القدر الذي فيه غذاؤك.
وكذلك شربك الماء مصاً، وتقطع نفسك مراراً، واعلم أن العطش جربناه فوجدناه من الشهوة الكاذبة.

وثالثها: تشغيل القلب بالذكر بحيث لا ينفك لحظة منه.

ورابعها: ملازمة الخلوة بحيث لا يخرج عنها إلا للوضوء وقضاء الحاجة وصلاة الجماعة والجمعة.

فصل: في كيفية الذكر

قال الله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية 41]. وقال النبي ﷺ: «**سيروا سبق المفردون؟ قيل: مَن هم يا رسول الله؟ قال: الذين اهتزوا بذكر الله حتى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً**»[(1)]، والمختار فيها كلمة لا إلٰه إلا الله ـ فيها نفي جميع ما سوى الله تعالى، وإثبات الحضرة.

فإذا أراد الذكر يغتسل ويتوب عن جميع المعاصي، ويغسل ثيابه تنظيفاً، ويقعد في الخلوة متربعاً، مستقبل القبلة، واضعاً يديه بركبتيه، غامضاً عينيه، شارعاً بالذكر بالتعظيم والقوة بحيث يطلع لا إلٰه من تحت السرة، ويضرب إلا الله على القلب بحيث يصل تأثيره بجميع الأعضاء[(2)]، مخفياً صوته كما قال الله تعالى:

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، حديث رقم (2773) [3/ 155] ونصه: «سيروا سبق المفردون مرتين، قالوا: وما المفردون يا رسول الله، قال: الذاكرين الله كثيراً والذاكرات».
وأول الحديث كما رواه أبو هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ في طريق مكة فمر على جبل يقال له حمدان...» الحديث.

(2) جاء في هامش الأصل المخطوط:
قال: كثير نظر للظاهر معنى إذا نسيته نسيت غير الله أو التعليق بالمشيئة فلا منافاة بين الكلامين، الأول مفروض في الذكر مع المشاهدة، والثاني في الذكر بدونها.
وللذكر ثلاثة أصناف:
ذكر القلب وهو أن لا ينساه لامتزاجه وألفه به.
وذكر نعوت المذكور وهو الذكر الذي يستولي به شهودها على نفس الذاكر بحيث يغيب عن نفسها وذلك شهود المذكور وهو الذكر الذي تعقبه الغيبة عن الذكر أيضاً.
وأصل الذكر: لا إلٰه إلا الله، وهو مركب من نفي وإثبات. فبالنفي تزول الفائدة بتولد مرض القلب من الأخلاق الذميمة النفسانية والأوصاف الشهوانية، وبالإثبات تحصل مواد صحة القلب من نور الله تعالى ويتجلى لك شواهد الحق ونحوها. قال تعالى: =

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الأعراف: الآية 205] غير منقطع لسانه عن الذكر، متفكراً معناه في القلب حتى يحيط الذكر بجميع الأعضاء ويستقر فيها، فإن ورد وارد على الخاطر ينفيه بلا إله، ويقطع محبته ويثبت بإلا الله، بدله محبة الله حتى يفرغ القلب من الخيالات ويشتغل بالمشاهدات.

= ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [الزُّمَر: الآية 69] أي أرض النفس عنها زوال عنها صفاتها، وقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البَقَرَة: الآية 152].

سابعها: توجه إلى الله بكليته وخروجه عن كل داعية تدعو إلى غير الحق فلا يبقى له مطلوب ولا محبوب ولا مقصود إلا الله تعالى.

قال الجنيد رضي الله تعالى عنه: لو أقبل صدِّيق على الله تعالى ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فما فاته أكثر مما ناله.

الباب التاسع

في صفة المريد

الباب التاسع: في صفة المريد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [الأحزَاب: الآية 33].

لا بدَّ للمريد من عشرين مقاماً:

التوبة، والزهد: بأن يترك الدنيا قليلها وكثيرها، أي حبها.

والتجريد: وهو قطع التعلقات الدنيوية لا يشغل قلبه بها.

والعقيدة الخالصة: بأن كان اعتقاده اعتقاد السلف، بريئاً من الرفض والاعتزال والجبر والتعصب والجدال.

والتقوى: فليكن تقيّاً متورِّعاً محتاطاً في اللقمة والكسوة، عاملاً بالعزائم.

والصبر[1]: بأن يكون صبوراً، متحمِّلاً، صابِراً على شدائد الأمور والنواهي.

والمجاهدة: بأن يكون مجاهداً في الظاهر، ملجماً نفسه بلجام المجاهدة، غير معطٍ مرادها، عاملاً بخلاف رأيها.

والشجاعة: فليكن شجاعاً قوياً مقاوماً مكائد النفس غير مغترّ بشياطين الإنس والجنّ.

والبذل: أن يكون سخياً مبذلاً غير طمَّاع ولا منَّاع.

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط: في الفتوحات الإلٰهية: ثامنها الصبر إلخ.

والفتوة: أن يكون كريماً جواداً معطياً حق الغير وحق نفسه.

والصدق: أن يكون مخلصاً منقطعاً إلى الله تعالى بالكلية، غير ملتفت إلى المخلوق[1].

والصدق: بأن يكون عالماً بالفرائض والنوافل وبما يحتاج إليه، بل في التكليف إليه من أصول الدين وفروعه.

والرجاء: أن يكون راجياً من فضل الله تعالى في كل مقام، ولا يفتر عن المجاهدة بالقبض، ولا يرضى بأدنى مرتبة، ولا يخطر بباله أنه لا ينال القربة والوصول، بل يصرف الهمة على أنه يبلغ لأعلى الحالات والمقامات.

والتوكُّل[2]: بأن يطرح نفسه في بحار الجهاد ولا يبالي بقول أحد.

والملامة: بأن يكون بصفة الملامة ولا يبالي بقول الناس وبالرد والقبول، ولا بالعداوة والمحبة.

والعقل: فليكن عاقلاً كاملاً ذليلاً حقيراً متواضعاً، حركاته مضبوطة، وسكناته مربوطة.

والأدب: أن يراعي الأدب مع الله تعالى ـ ومع شيخه ـ ولا يفشي سرّه، ولا يريد منه إلا له، ولا يغتر بخدمة الشيخ، ولا يرفع صوته فوق صوته، ولا يعترض عليه، ولا يحكي حاله إلا معه، ويحفظ اللسان عن الهذيان.

والخلق الحسن: أن يكون جيد الطبع، سليم النفس، بعيداً عن التكبُّر والخيلاء، بريئاً عن طلب الجاه والرفعة، محترزاً عن الممازحات والممالات.

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:

ارغب إلى الله لا ترغب إلى أحد ... أما رضيت ضمان الواحد الصمد

الله يرزق هذا الخلق كلّهم ... حتى يفرِّق بين الروح والجسد

(2) جاء في هامش الأصل المخطوط:

قال أكثر الصوفية: التوكل: هو الخروج عن الأسباب ثقة بالله تعالى، وقريب منه قول بعضهم: ترك السعي فيما لا تسعه قدرة البشرية، والمحققون منهم ومن غيرهم على أنه قطع النظر عن الأسباب مع تهيئها، ولهذا قال النبي ﷺ لمن قال له: أرسل ناقتي، وأتوكل أو أعقلها، قال: «**اعقلها وتوكل**» رواه البيهقي وغيره من الفتوحات الإلٰهية.

والتسليم: بأن يكون منقاداً لحكم الله تعالى من النفع والضرّ، راضياً[*] بقضائه، شاكراً لنعمائه، صابراً لبلائه، لأنه قال لنبيه ﷺ: «**ومَن لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر على نعمائي، فليطلب ربّاً سوائي**»[1].

والتفويض: أن يفوض أمره إليه طالباً عرفانه، طالباً قربه، وحق معرفته لا لأجل الجنة والنار. وإن نقص شيئاً من هذه لم يحصِّل مراده.

اعلم أن فائدة هذه الخلوة خمسة: الواقعات، والمشاهدات، والمكاشفات، والتجليات، والوصول.

فصل: في الواقعات

إذا شرع السالك في رياضة النفس يظهر له العبور في عالم الملك والملكوت، ففي كل مقام له حالات، وتظهر له واقعات.

فالواقعة هي التي تظهر من الحالات بين اليقظة والمنام، ولها في نظر السالك ثلاث فوائد:

الأولى: يطلع على أحوال نفسه من الزيادة والنقصان، والرفعة والوجد

(*) عاشرها: الرضا، وهو الخروج عن رضا نفسه بالدخول في رضا الله تعالى بالتسليم للأحكام الأزلية والتفويض للتدبيرات الأبدية بلا إعراض ولا اعتراض، فمن يداوم بإرادته على هذه الأصول السنية منحه الله تعالى بأنوار العلية وفتوحاته الإلٰهية وعلومه اللدنية كما قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعَام: الآية 122] بأوصافنا الربانية ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ [الأنعَام: الآية 122] من أنوار الرحمان ﴿يَمْشِي بِهِ فِي﴾ [الأنعَام: الآية 122] سرائر ﴿النَّاسِ﴾ [الأنعام: الآية 122] بأن يتفرَّس فيهم ويشاهد أحوالهم ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعَام: الآية 122]، أو كمن يفيء في ظلمات الشجرة الإنسانية ليس بخارج منها.
والرضا يستلزم التواضع وهو بذلّل القلوب لعلّام الغيوب، ومثل الخشوع إلا أنه أعم منه إذ لا يكاد يستعمل الخشوع إلا بين الربّ والعبد.
والتواضع يتصور بين العباد فلا يقال: خشع العبد لمثله، ويقال: تواضع له. [من الفتوحات الإلٰهية].

(1) رواه الطبراني في الكبير، حديث رقم (807) [22/ 320].

والشوق، من المنازل والمقامات والدرجات، والدركات من العلو والسفل، والحق والباطل.

ويوقف على الوقائع ـ والأخلاق ـ النفساني والحيواني والشيطاني، والسمعي والقلبي، والروحي والملكي والرحماني، فإن كانت غالبة عليها من الصفات المذمومة النفسانية من الحرص والحسد والبخل والحقد[1] والكبر والغضب والشهوة وغيرها، يظهر كل واحد منها في الواقعة بصفة الحيوانات، فإن كانت صفة الحرص مستولية عليه يظهر بصورة الفأرة والنملة، وإن كانت صفة البخل غالبة عليه يظهر بصورة الكلب والقردة، وإن كان الحقد غالباً يظهر بصورة الحيّات، وإن كانت صفة الكبر غالبة يظهر بصورة النمر، وإن كانت صفة الشهوة مستولية يظهر بصورة الحمير، وإن كانت صفة البهيمية غالبة يظهر بصورة الأغنام، وإن كانت صفة السبعية غالبة يظهر بصورة السباع، وإن كانت صفة الشيطانية مستولية يظهر بصورة الشيطان والمردة والأبالسة والغيلان، وإن كان المكر والحيلة غالبة يتمثل بالثعلب والأرنب.

وإن رأى هذه الأشياء مستولية عليه يعلم أن هذه الصفات غالبة عليه، وإن رآها مسخرة يعلم عبوره من هذه.

وإن رأى الأنهار الجارية الصافية والبحار، والبرك، والحياض، والبساتين، والقصور، والمراتب الصافية، والكواكب والأقمار والسماء ـ المصحية ـ يعلم أن هذه الصفات من الصفات القلبية.

وإن رأى الأنوار والصعود والعروج وطي الأرض، والذهاب إلى السماء والجو، وكشف المعاني والعلوم اللدنية والمدركات بلا واسطة الحواس علم أنها من مقامات الروحانية.

وإن رأى مطالعة الملكوت، ومشاهدة الملائكة والهواتف والأفلاك والأنجم والعرش والكرسي علم أنها من صفات الملائكة، وحصول الصفات الحميدة.

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
ومعالجة الحقد بالعفو والصفح وكذلك الغضب لأن الحقد فرع الغضب لا يمكن الحقد إلا بعد سبق الغضب.

وإذا رأى مشاهدة أنوار غيب الغيب، ومشاهدة صفات الألوهية، والإلهامات والإشارات والوعي، وتجلي صفات الربوبية، علم أنها من مقامات التخلق بأخلاق الرحمٰن.

والثانية: إن الوقائع القلبية والروحية والملكية تكون مع الذوق، ويحصل للنفس معها شرب وقوة ذوق وشوق، ويظهر لها التنفر عن الخلق ومستلذات عالم الشهادة والمشتهيات الجسمانية، ويحصل له الاستئناس مع المغيبات والعالم الروحاني، ويكشف لها معاني الأسرار والحقائق وينقطع بالكلية إلى عالم الغيب يعلم مشربها، قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية 60].

الثالثة: السَّالك إذا بلغ إلى مقام لا شعور له به وانقطع سلوكه فلا بد له من شيخ لأنه إذا كان بسلوكه في صفات النفس والقلب يمكن أن لا يحتاج إلى الشيخ، ولكن إذا بلغ المقام الروحاني فلا يمكن عبوره إلا بتصرف صاحب الولاية.

فصل: في بيان المشاهدة

قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النّجْم: الآية 11]. وقال عليه السلام: «**الإحسان أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

اعلم أن مراتب القلب إذا صفت بلا إلٰه إلا الله وحصلت لها الصقالة وذهب عنها الصدأ، يظهر لها أنوار الغيب بحسب الصقالة[2]، وذلك يكون في

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب: إن الله عنده علم الساعة، حديث رقم (4499) [4/ 1793]، ورواه ابن خزيمة في الصحيح، كتاب الزكاة، حديث رقم (2244) [4/ 5] ورواه غيرهما.

(2) جاء في هامش الأصل المخطوط:
في بيان المحاضرة والكشف والمكاشفة والمشاهدة والمباينة، فالمحاضرة حضور القلب مع الحق تعالى من وراء الستر. والكشف حضوره معه واستنشاق الأسرار الإلٰهية من وراء الستر وهو ثلاثة أقسام: كشف نفس، وكشف قلب، وكشف سر. ويعبر عن الأول بعلم اليقين، وعن الثاني بعين اليقين، وعن الثالث بحق اليقين. والثلاثة علوم لأنها أقسام =

ابتداء الحال بمثال البروق واللوامع واللوائح، فإن ازدادت صقالتها يظهر بمثال السراج والشمع والمشعلة، فمتى ازدادت تزداد أنوارها حتى يظهر بصورة الكواكب والهلال والبدر التام والشمس.

وبعدها تظهر أنوار مجردة من الخيال بعضها أزرق، وبعضها كالدخان، وبعضها أبيض، وإذا امتزج نور الروح بصفاء القلب يظهر نور أخضر، وإذا صفا القلب بالكلية يتولد نور كشعاع الشمس، وإذا انعكس نور الحق مع نور الروح امتزجت المشاهدة مع ذوق الشهود، وقد يظهر نور الحق بغير واسطة الروح والقلب، فحينئذٍ ارتفعت الكيفية والمثلية والضدية. والتمكين والتمكن حينئذٍ يصير من لوازمه، وليس هنالك طلوع وغروب، ويمين وشمال، وفوق وتحت، ومكان وزمان، وقُرب وبُعد، وليل ونهار، وليس عند الله صباح ولا مساء، فيرتفع الحجاب ويظهر معنى قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: الآية 88].

فهذه أنوار صفات الجمال التي تظهر في عالم اللطف(*).

وأما أنوار صفات الجلال التي تظهر في مقام الشهود فيقتضي فناء الفناء،

= العلم باعتبار معلومه إن تعلق بالذات الظاهرة.
فعلم اليقين: أول بالذات الباطنة، فعين اليقين أول بالحق تعالى، فحق اليقين وقد مرّ بيانها.
والمكاشفة: حضوره معه بنعت البيان التام بالبرهان.
والمشاهدة: وجود الحق تعالى بلا تهمة.
والمعاينة: تحقيق معرفة الذات التي لا يصح مع وجودها وجود إلف.
وكل منها أكمل مما قبله على خلاف في بعضه، ولا ريب أن معاني هذه الألفاظ وراء طور العقل لا يعرفها إلا أهل العنايات، لأنها تتعلق بتوحيد الله تعالى المتعلق بذاته وصفاته، ولا تصح أن تكون من مدركات العقول. [الفتوحات الإلٰهية].

(*) جاء في هامش الأصل المخطوط:
قال سيدي أحمد البدوي قدَّس الله روحه: إن للفقير اثني عشر علامة: أن يكون عارفاً بالله، مراعياً لأوامر الله، متمسكاً بسنة رسول الله ﷺ، مداوماً على الطهارة، راضياً عن الله في كل حال، موقناً بما عند الله، آيساً مما في أيدي الناس، مبادراً لأوامر الله، متحملاً للأذى، شفوقاً على الناس، متواضعاً للناس، يعلم أن الشيطان عدو.
أي وهذا الوصف للفقير هو العبودية التي هي أشرف المقامات وأعلى الدرجات.
قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه: مقام العبودية هو السر الذي وقر في =

ففي أول الأمر يظهر نور محرق يقتضي معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدَّثِّر: الآية 28]، وإن ظهرت في مقام فناء الفناء يقتضي رفع الوجود وكسر الرسوم.

واعلم أن أنوار صفات الجلال محرقة، وأنوار صفات الجمال مشرقة، وقد يكون أنوار صفات الجلال مظلمة لا يدرك العقل كيفيتها وشرحها في غاية الصعوبة.

فصل: في بيان المكاشفات

قال الله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: الآية 22]. وقال ﷺ: «**حجابه النور لو كوشفنا به لاحترقنا**»(1).

الكشف هو الخروج عن الحجاب على الوجه الذي يدرك صاحب الكشف شيئاً لم يدركه قبله، والحجاب عبارة عن الموانع التي كان العبد بسببها محجوباً عن حضرة الله تعالى، وذلك جملة العوالم المختلفة من الدنيا والآخرة كما قال ﷺ: «**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة**»(2).

الكشف على خمسة أضرب: عقلي، وقلبي، وسرِّي، وروحي، وخفي.

أما العقلي: فهو أن السالك إذا اشتغل بالمجاهدات والرياضات يرتفع عنه بحسب المجاهدات حجابات، ففي كل حجاب يرتفع ينكشف معاني المعقولات

= صدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفضل به على الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(1) ورد بلفظ: «عن أبي عُبيدة عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليلة قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ـ وفي رواية أبي بكر: النار ـ لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خَلْقِهِ».
رواه مسلم في صحيحه، باب في قوله عليه السلام: «إن الله لا ينام...»، حديث رقم (179) [1/ 161].

(2) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

ولا تظهر أسرار الممكنات. ويسمى كشفاً نظرياً.

وأما القلبي: أن تنكشف فيه أنوار مختلفة كما شرح في المشاهدة، ويسمى كشفاً شهودياً.

وأما السرِّي: فهو كشف أسرار المخلوقات وحكمة خلق الموجودات، ويسمى إلهامياً.

وأما الروحي: فهو يكشف عرض الجنات والجحيم والمعارج ورؤية الملائكة، وإذا صفا بالكلية وطهر عن كدوراته النفسانية تظهر عوالم غير المتناهي ويرتفع حجاب الزمان والمكان، ويحصل الاطلاع على أخبار الماضي، وأحوال المستقبل، ويرتفع أيضاً حجاب الزمان والمكان الأخروية وحجاب الجهات، وتظهر الكرامات من الإشراف على الخواطر، والاطلاع على المخفيات، والعبور على الماء والنار، وطي الأرض وغيره، ويسمى كشفاً روحانياً[1].

وأما الكشف الخفي: فهو أن يكشف الله تعالى بالصفات إما بالجلال أو الجمال، على حسب المقامات والحالات.

والخفي: فهو نور روحاني مجرّد خاص موهبة من الله تعالى على من يشاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجَادلة: الآية 22]، وهو الروح الخفي، وقال: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [غَافر: الآية 15]، ويسمى كشفاً صفاتياً، فإن انكشف بصفة العالمية يظهر العلوم الدينية، وإن انكشف بصفة السمعية يظهر استماع الكلام

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
قال النبي ﷺ: «**من قرأ ثلاث آيات من الأنعام إلى قوله** ﴿يَكۡسِبُونَ﴾ [الأنعَام: الآية 120] **وكَّل الله به أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة، وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فإذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يدخل في قلبه شيئاً ضربه ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجاباً، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: امش في ظلِّي يوم لا ظلّ إلا ظلي، وَكُلْ من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل بماء السلسبيل، فأنت عبدي وأنا ربك**». حكاه القرطبي في تفسيره.

والخطاب، وإن انكشف بصفة البصرية تظهر الرؤية والمشاهدة، وإن انكشف بصفة الجمال يظهر فناء الفناء، وإن انكشف بصفة القيومية ظهر بقاء البقاء، وإن انكشف بصفة الواحدية تظهر الوحدة بلا علم.

فصل: في بيان التجلي(*)

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: الآية 143] الآية. وقال ﷺ: «**إذا تجلَّى الله لشيء خضع له ذلك الشيء**»[1].

التجلي(*) عبارة عن ظهور ذات الإلٰهية وصفاتها، وقد يكون للروح تجلٍّ،

(*) وجد في هامش الأصل المخطوط فقرة منقولة من كتاب «التعريفات» للجرجاني وهي: التجلي ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب. إنما جمع الغيوب باعتبار تعدد موارد التجلي، فإن لكل اسم إلٰهي بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوعة.
وأمهات الغيوب التي تظهر التجليات من بطائنها سبعة: غيب الحق وحقائقه، وغيب الخفي المنفصل من الغيب المطلق بالتمييز الأخفى في حضرة أو أدنى، وغيب السر المنفصل من الغيب الإلٰهي بالتمييز الخفي في حضرة قاب قوسين، وغيب الروح وهو حضرة السر الوجودي المنفصل بالتمييز الأخفى والخفي في التابع الأمري، وغيب القلب وهو موقع تعانق الروح والنفس ومحل استيلاد السر الوجودي ومنصة استجلائه في كسوة أحدية جمع الكمال، وغيب النفوس وهو أس المناظرة، وغيب اللطائف البدنية وهي مطارح أنظاره لكشف ما يحق له جمعاً وتفصيلاً.

(1) ورد بلفظ: عن قتادة عن أبي قلابة عن قبيصة البجلي قال: إن الشمس انخسفت فصلى النبي ﷺ ركعتين حتى انجلت ثم قال: «**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولكنهما خلقان من خلقه ويحدث الله في خلقه ما شاء، ثم إن الله تبارك وتعالى إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له فأيهما انخسف فصلُّوا حتى ينجلي أو يحدث له الله أمراً**».
رواه ابن خزيمة في الصحيح، باب ذكر علة لما تنكسف الشمس...، حديث رقم (1402) [2/ 329].

(*) جاء في هامش الأصل المخطوط:
قال سهل: التجلي على ثلاثة أحوال: تجلي الذات وهي المكانة، وتجلي صفات الذات وهو موضع النور، وتجلي حكم الذات وهي الآخرة. التجلي الذاتي ما يكون مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات معها وإن كان لا يحصل ذلك إلا بواسطة الأسماء والصفات إذ لا يتجلى الحق من حيث ذاته على الموجودات إلا من وراء حجاب من الحجب.

وكل سالك لا يفرق بين تجلي الروح وتجلي الإلٰهية، والفرق بينهما أن تجلي الروح يكون متصفاً بوسمة الحدوث، ولا يكون له قوة الإفناء، وإن حصلت عند الظهور زالت صفات البشرية. فأما إذا احتجب فتعاود النفس إلى طبعها ولا تحصل طمأنينتها.

والتجلي الرباني بخلافه، لأنه فيه يظهر فناء الفناء، وتموت النفس بالكلية على ما قيل، ويحصل طمأنينتها.

والتجلي الروحاني قد يكون من غلبات أنوار الروحانية، وقد يكون من غلبة أنوار الذكر وأنوار الطاعة، فإذا تموج أنوار بحر الروحانية يتموج على ساحل القلب.

والتجلي الرباني على نوعين: ذاتي وصفاتي، والذاتي على نوعين: ألوهية وربوبية.

فتجلي الألوهية كان لمحمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفَتْح: الآية 10].

وتجلي الربوبية كان لموسى عليه السلام حيث قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعرَاف: الآية 143].

وأما التجلي الصفاتي فعلى نوعين: جمالي، وجلالي. وكل واحد منهما ذاتي وفعلي، فإن تجلى بصفة الموجدية يظهر فناء الفناء كما كان للجنيد رحمه الله حيث قال: ما في الوجود سوى الله.

وإن تجلى بصفة الواحدية تظهر الوحدة كما كان لأبي سعيد حيث قال: ما في جبتي سوى الله.

وإن تجلى بصفة القائمية يظهر القيام بالنفس كما كان لأبي يزيد حيث قال: سبحاني ما أعظم شأني.

وإن تجلى بصفات العالمية تظهر العلوم اللدنية كما كان للخضر عليه السلام حيث قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: الآية 65].

وإن تجلى بصفة المريدية تظهر الإرادة كما كان لأبي عثمان حيث قال: مراد الله في مرادي منذ ثلاثين سنة.

وإن تجلى بصفة القادرية تظهر القدرة، كما كان للمصطفى ﷺ حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية 17].

وإن تجلى بصفة البقاء فيقتضي رفع الاثنينية كما كان لابن منصور الحلاج حيث قال، شعر:

بيني وبينك إنِّي يزاحمني فارفع بجودك إنِّي مِن البين[1]

وإن تجلى بصفات الرازقية يظهر إعطاء الرزق، كما كان لمريم عليها السلام

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
لأن العالم هو عين الحجاب على نفسه، أي بعينه وأينيته التي بها تميز عن الحق، ويسمى بالعالم هو عين حجابه فلو رفعت الأينية ينعدم. وإليه أشار الحلاج بقوله: بيني وبينك أي يغان عني فارفع بلطفك إني من البين.
اعلم أنه من لم يقطع بحر الأينات التي تزول وتفنى معه الحظوظ والرئاسات لم يعلم خظر الأينات كما قال عليه السلام: «**آخر ما يخرج من رؤوس الصدِّيقين حب الرياسة**».
والسالم منه نادر كما قال الحسين: بيني وبينك إلخ...
ومن لم يعرف بحر الأينية كيف يحترز عنه ويذهب منه، فإن أعانه الحق لحسن صدقه وإخلاص توجهه نقله إلى البحر الذي يتحقق فيه تبديل الوجود بالوجود لتحقيق الوجود المطلق الحق، فمن لم يذهب عن هذه البحور لم يصل إلى الأسرار المكنونة في القلب، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذّاريَات: الآية 20] الأرض هنا القلب، والآيات هي الأسرار المصونة التي هي العبارة عن حقيقة الوجود ومرآة الشهود ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذّاريَات: الآية 21]، وهو قطع المقامات الصفاتية التسعة والتسعين إلى أودية الوداد التي هي ألف وادٍ في واد واحد، وحينئذ ينكشف سر القلب والعقل والروح في سر الفؤاد.
قيل لأبي يزيد: تعرف القلب؟ قال: نعم، قيل: فما علامته؟ فقال: لا علامة له ولا يعرف بالعلامة والدلالة لكن أذكر لكم وصفاً تستدلون به على أودية ملكه وهو أن في القلب صخراً يقال له اليقين، وفيها عين يقال لها عين اليقين، وفي العين ماء لا يعبر عنه يقال له حق اليقين، وحول تلك العين في تلك الأرض أشجار الاشتياق، وفي ظل الأشجار بساط السرور، وفوق الأشجار غيب القربة يهب عليها رياح المؤانسة ويرعد عليها رعد المحبة ويظهر عليها في كل لحظة بروق الألطاف، وينزل عليها غيث الوجد فيثمر رعد الوصال، ويثمر أسرار الوحدانية، وتظهر تحت الأشجار روضات منها نرجس الإلفة وريحان الرضا وزعفران البقاء وورد الاصطفاء. فمن سافر إلى صخار تلك الأرض ووصل إلى تلك العين، وعام في بحرها، وشرب من زلال مائها، أحياه الله حياة الأبد، فإن من الماء كل شيء حي، واستخرج وأكل ثمار تلك الأشجار، واضطجع في ظلها، واستنشق من عبائق روح نسيم الروضات والأزهار، فمن فعل هذا عرف القلب وما فيه من الأسرار.

حيث قال الله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريَم: الآية 25].

وإن تجلى بصفة الخالقية يظهر إيجاد الخلق كما كان لعيسى عليه السلام حيث قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي﴾ [المَائدة: 110] الآية.

وإن تجلى بصفة العظمة والكبرياء تظهر محو آثار الوجودية.

وإن تجلى بصفة الجبروت تظهر أنوار في غاية الهيبة.

وإن تجلى بصفة القاهرية يظهر فناء الفناء.

وإن تجلى بصفة العزيزية تظهر سعادة الدارين.

والتجلي بصفة الجلال يكون على الدوام لأنها مقام التمكن، والتجلي بصفة الجمال يكون على غير الدوام لأنها مقام التلوين.

اعلم أن المشاهدة تكون مع التجلي، وتكون مع غير التجلي. والتجلي مع المشاهدة ومع غير المشاهدة، وهما لا يكونان إلا مع المكاشفة، والمكاشفة توجد بدونهما.

فصل: في بيان الوصول

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ [النّجم: الآيتان 8 و9]، وقال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النّجم: الآية 42].

وقال النبي ﷺ: «**أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام وقال: يا موسى تجوع**[1] **تراني تجرد تنظر إليّ**»[2].

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
الموت الأحمر مخالفة النفس، الموت الأبيض الجوع لأنه ينور الباطن ويبيض وجه القلب فمن ماتت بطنته حييت فطنته، الموت الأخضر لبس المرقع.
وعن حاتم الأصم رضي الله تعالى عنه أنه قال: من دخل مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موت أحمر، وموت أسود، وموت أبيض، وموت أخضر، فالموت الأبيض الجوع، والموت الأسود احتمال أذى الناس، والموت الأحمر مخالفة النفس، والموت الأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض. [شرح الحكم].

(2) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

اعلم أن الوصول لحضرة الله تعالى ليس كوصول الجسم بالجسم أو العرض بالعرض، أو العلم بالمعلوم، أو العقل بالمعقول، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والوصول على ضربين: وصول البداية، وهو أن ينكشف للعبد حلية الحق ويصير مستغرقاً به، فإن نظر إلى معرفته فلا يعرف إلا الله، وإن نظر إلى همته فلا همَّ له سواه، فيكون كله مشغولاً بكله، مشاهدة وهماً.

كذا لا يلتفت إلى نفسه ليعمر ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الأخلاق(1).

ووصول النهاية وهو أن ينسلخ العبد من نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو. والوصول ليس من قبل العبد، بل بعناية الله تعالى وتصرف جذبات الألوهية.

وكسب العبد سبب لحصوله، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العَنكبوت: الآية 69]. وأما الواصل فإما مجذوب مطلق أو مجذوب سالك، أو سالك مطلق.

أما الأول فهو الذي يجذبه الله تعالى بعنايته ويهديه إلى طريقه ويوصله بقربته، ويعطيه المقامات الشريفة من غير زحمات وشغل بالرياضة والخلوة.

وأما الثاني: فهو الذي يشتغل بالمجاهدة ويقعد في الخلوة، وينقطع إلى الله

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
في بيان الشريعة والحقيقة والطريقة: فالشريعة الأمر بالتزام العبودية شرط التزامها، ويقال: هي معرفة السير إلى الله تعالى.
والحقيقة مشاهدة الربوبية بالقلب، ويقال: هي سر معنوي لا حد له ولا جهة، ومن قال باتحادهما أراد اتحادهما صدقاً لا مفهوماً. والطريقة سلوك طريق الشريعة وهي أعمال شرعية بأحد وجوه ككون الصلاة ركعتين أو ثلاثاً، وجهات ككونها فرضاً أو نفلاً موقتاً أو غير موقت.
والثلاثة متلازمة لأن الطريق إلى الله تعالى بها ظاهر وباطن، فظاهرها الشريعة، وباطنها الحقيقة، فتكون الحقيقة في الشريعة، والطريقة كبطون الزبد في لبنه لا يظهر زبده.
فالمراد من الثلاثة: إقامة العبودية على وجه المراد من العبد. [الفتوحات الإلٰهية، للقاضي زكريا الأنصاري].

بالكلية، فينظر الله تعالى إليه بنظر الرحمة ويؤيده باللطف والنعمة، ويوصله المقامات العالية بمدة قريبة ومجاهدة يسيرة.

وأما الثالث: فهو الذي يسلك بحر المجاهدة والرياضة، ويطلع على جميع الوقائع والحالات حتى ينتهي بالمجاهدات الشديدة والأربعينيات[1] بالمقامات العليَّة.

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
في بيان التوحيد والإيمان والإسلام: فالتوحيد هو إفرادك الحق حال كونك متوحداً من كل ما سواه بأن يغنيك الحق عما عداه حتى عن نفسك. والإيمان حقيقي وكامل، فالحقيقي تصديق القلب بما علم مجيء الرسول به من عند الله تعالى ضرورة بشرط تلفظ القادر وغيرها، والإسلام: حقيقي وكامل أيضاً، فالحقيقي تلفظ القادر بالشهادتين بشرط تصديق القلب بما مر. والكامل ذلك مع امتثال بقية ما ورد به الشرع من صلاة وصوم وغيرهما. [من الفتوحات الإلٰهية].

الباب العاشر

في بيان المعرفة

والمقام والحال

وتفسير بعضها

الباب العاشر: في بيان المعرفة والمقام والحال وتفسير بعضها

قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محَمَّد: الآية 19].

اعلم أن المعرفة ضربان: معرفة العام، ومعرفة الخاص.

أما الأولى: فهي معرفة تحصل بالاستدلال، وتسمى علم اليقين.

وأما الثانية: فعلى قسمين: عين اليقين، ومعرفة حق اليقين.

فالقسم الأول: معرفة تحصل بواسطة الشهود، وهي مقام خواص الأولياء.
وأما القسم الثاني: فهي معرفة تحصل للروح بعين المشاهدة، وذلك يكون عند سلامة حواس القلب عن جميع الكدورات النفسانية، وتجرُّده عن التعلُّقات البدنية، وصفائه عن الصفات البشرية، فهناك يظهر للروح معرفة الله تعالى بعين المشاهدة كما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «**جوِّعوا بطونكم، وأعروا ظهوركم، لعلكم ترون ربّكم بقلوبكم**»(1). وسئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الرؤية فقال بعد الكلام: لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. وقال عمر رضي الله عنه: رأى قلبي ربّي.

وهي مقام الأنبياء وخواص الخواص من الأولياء.

وقيل: علم اليقين(2) ما كان من طريق النظر والاستدلال، وعين اليقين ما

(1) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين، بيان الطريق في رياضة الصبيان..، [3/ 72].
(2) جاء في هامش الأصل المخطوط: فائدة المختار كما في كشف الأسرار: أن علم اليقين =

كان من طريق الكشف والنوال، وحق اليقين[1] ما كان بتحقق الانفصال عن لوث الصلصال بورود وفد الوصال.

اعلم أن علم اليقين هو الذي لا اضطراب فيه، وعين اليقين هو العلم الذي أودعه الله في الأسرار. والعلم إذا تفرّد من نعت اليقين كان علماً بشبهة، فإذا انضم إليه اليقين كان علماً بلا شبهة، وحق اليقين ما يشير إليه علم اليقين وحق اليقين.

وقال الجنيد: حق اليقين ما يتحقق بذلك وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان، ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق.

وقيل: لليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق، فالاسم والرسم للعوام، والعلم علم اليقين للأولياء، وعين اليقين لخواص الأولياء، وحق اليقين للأنبياء، وحقيقة حق اليقين اختص به محمد ﷺ.

الحال لا يستقر، والمقام يستقر، وقد يكون الشيء حالاً بعينه ثم يصير مقاماً، مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس، ثم تعود، ثم تزول، فلا يزال العبد في حال المحاسبة حتى تدركه المعونة من الله الكريم فتصير المحاسبة مقاماً[2].

= هو المستفاد من الأخبار، وعين اليقين هو المستفاد من المشاهدة، وحق اليقين هو المستفاد من المعاينة والمباشرة جميعاً، وأخذ منه قوله تعالى في حق الكفار: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التّكاثُر: الآية 7] ولما دخلوها وباشروا عذابها قال: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقِعَة: الآيات 93-95].

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
حق اليقين عبارة عن فناء العبد في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً لا علماً فقط. فعلم كل عاقل الموت علم اليقين، فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين، فإذا ذاق الموت فهو حق اليقين.

(2) جاء في هامش الأصل المخطوط:

ألا أيها النائم ... إن الصبح قد أصبح
وهذا الشرق قد أعلن ... بالنور وقد صرَّح
ألم يوقظك مِنْ ذكر ... بالله ومَن سبَّح
فما بال دواعيك ... إلى الخيرات لا تنجح =

القبض والبسط موسمهما في أول حال المحبة الخاصة لا في نهايتها، ولا قبل حال المحبة، فمن هو في مقام المحبة العامة لا يكون له قبض وبسط، وإنما يكون له خوف ورجاء. ووجود القبض بظهور النفس وغلبتها، وظهور البسط بظهور صفاء القلب وغلبته، وقد يرد على الباطن قبض وبسط ولا يعلم سببهما. ومن عدم القبض والبسط وارتقى منهما فنفسه مطمئنة.

قال عامر بن عبد الله: لا أبالي امرأة رأيت أم حائطاً(1). هذا فناء، والفناء أن يفني عنه الحظوظ فلا يكون له حظ، والبقاء أن يفنى عن ماله ويبقى بالله.

وقيل: الفناء ذهول العبد عن الأشياء كما كان فناء موسى عليه السلام حين تجلى ربه للجبل.

قال الجنيد: الفناء استعجام الكل عن أوصافك، واشتغال الكل فيك بكليته.

الفناء الظاهري هو أن يتجلى الحق بطريق الأفعال، ويسلب عن العبد إبصاره، فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلاً إلا بالحق.

=
إذا حركك الذِّكر ... تثاقلت ولم تَبْرَح
أضَعْتَ العُمر خسراناً ... فقُل لي متىٰ تَرْبَح
لقد أصلح مَن فيه ... يقول الله قد أفلح
إذا أصبحت في عُسْر ... فلا تحزن له واقرع
فبَعد العسر يسرٌّ عا ... جِل واقرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
والصواب: عامر بن عيد قيس، والقصة كما وردت بتمامها في الزهد للإمام أحمد (221) وبعضها في كتاب الصلاة للحكيم الترمذي ما يلي: عن العنبري حدثني شيخ منا قال: صحبت عامر بن عبد قيس في سفر فلما عرّس القوم قام فأصلح من متاعه ثم دخل غيضة، قال: فصلى وجلست خلفه، فلما كان من آخر الليل أو السحر قال: اللهم إني سألتك ثلاثاً فأعطيتني اثنتين ومنعتني واحدة اللهم فأعطنيها حتى أعبدك كما أحب أو كما أريد. قال: فلما برق الفجر التفت فرآني فقال: فإنك منذ الليلة ها هنا وإنك لتراعيني، قال: وأقبل فشفد لسانه قال، قلت: دع هذا فوالله لتخبرني بهذه الثلاث أو لأخبرن بما صنعت، قال: فاكتم عليَّ، قال: فجعلت له عليَّ أن لا أخبر بها أحداً حتى يموت. قال: سألت الله أن يُذهب حبَّ النساء قلبي فوالله ما أبالي امرأة رأيت أو حائطاً، وسألت الله أن لا أخاف شيئاً غيره، وسألته أن يُذهب عني النوم حتى أعبده في الليل والنهار كما أشاء فمنعنيها.

والفناء الباطني هو أن ينكشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات، ويستولي على باطنه نور الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وساوس[1].

الفناء الظاهري لأرباب القلوب والأحوال، والفناء الباطني لمن أطلق عن وثاق الأحوال وصار بالله لا بالأحوال، وخرج من القلب فصار مع مقلبه.

والله تعالى المسؤول أن يثبت قلوبنا على الدين وألسنتنا على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. اللهمَّ استجب، اللهمَّ استجب، اللهمَّ استجب، والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على رسوله باطناً وظاهراً، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين آمين آمين آمين[2].

---

(1) جاء في هامش الأصل المخطوط:
مولاي سامحني فإنك لم تزل تسامح بالذنب العظيم وتسمح.

(2) جاء في هامش الأصل المخطوط:
بلغ مقابلة بحسب الطاقة.

عقيدة التوحيد الكبرى
في عقائد أهل السنَّة والجماعة

تصنيف العلامة المحقِّق الشيخ
محمد المكّي بن عزوز المغربي المالكي
(توفي 1334 هجرية)
رحمه الله

ترجمة المؤلف

محمد المكي ابن مصطفى، بن محمد، بن عزوز الحسني الإدريسي، المالكي، التونسي 1270 هجرية ـ 1334 هجرية.

كان قاضياً وفقيهاً، باحثاً.

هاجر أبوه من الجزائر لاجئاً إلى تونس هرباً من وحشية الاحتلال الفرنسي.

ولد في مدينة نفطة بأرض الجريد في الجنوب التونسي بتاريخ 15 رمضان 1270 هجرية. وتعلَّم بتونس، وولي الإفتاء بنفطة سنة 1297 هجرية ثم قضاءها.

عاد إلى تونس سنة 1309 هجرية، وفي سنة 1313 هجرية رحل إلى الآستانة إسطنبول، فتولى بها تدريس الحديث في دار الفنون ومدرسة الواعظين، واستمر إلى أن توفي بها.

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ ابن عزوز في بيئة صالحة علمية، وتولى والده العالم الصالح التقي تربيته وتوجيهه، وتعلَّم في زاوية والده الشهيرة التي تُعرف حتى اليوم باسم «زاوية سيدي مصطفى»، وحفظ القرآن في تلك الزاوية وهو في سن الحادية عشرة من عمره، واعتنى بحفظ المتون، واجتهد في مزاولة العلوم.

شيوخه وقراءاته في نفطة:

كانت توزر ونفطة في عهده آهلتين بالعلم، زاخرتين بالأدب، ناشطتين في حركة التأليف والتدريس حتى اشتهرتا باسم الكوفة والبصرة.

قرأ على الشيخ قاسم الخيراني «شرح الشيخ خالد الأزهري على الآجرومية»، و«شرح ميارة على ابن عاشر» في الفقه، وقرأ «الرحبية» و«الدرة البيضاء» في علم الفرائض، و«مبادئ علم الفلك» على ابن عمه الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن التارزي، وقرأ «ألفية ابن مالك» بشروحها، و«مختصر خليل» بشروحه على الشيخ النوري ابن أبي القاسم الزيدي النفطي، وقرأ «الترمذي» على عمه الشيخ محمد المدني بن عزور.

شيوخه في جامع الزيتونة:

لما تشبع وروي القدر الكافي من العلوم على عدّة أساتذة ومشايخ خاصة وغير خاصة، اشرأبت نفسه إلى الاستزادة، فالتحق بالمعهد الزيتوني وهو في الثانية والعشرين من عمره، سنة 1292 هجرية، فلقي علماء أعلام أجلاء، لازم كثيراً منهم، منهم:

العلامة النحرير سيدي عمر ابن الشيخ (توفي 1329 هجرية) المفتي المالكي إذ ذاك بحاضرة تونس، وقرأ عليه «المحلى على جمع الجوامع» في الأصول، و«الموطأ» و«مختصر السعد» وغيرها من فنون أخرى.

ولازم شيخ المشايخ بها الأستاذ الأكبر سيدي محمد النجار المفتي المالكي (توفي 1331 هجرية) أيضاً بالعاصمة، ومن جملة ما قرأ عليه «مقامات الحريري» بالشريشي الكبير، ولازم أيضاً الشيخ الإمام الأستاذ سيدي سالم بوحاجب المفتي المالكي، وقرأ عليه «المغني» و«السيوطي» و«السيد في وضع اللغة» بشرح سعد الدين التفتازاني، وأخذ القراءات السبع رواية ودراية على شيخه العالم سيدي محمد البشير التواتي (توفي 1311 هجرية).

كتبه:

- رسالة في أصول الحديث.
- السيف الرباني.
- مغانم السعادة في فضل الإفادة على العبادة.
- نظم الجغرافية التي لا تتحول بمغالبة الدول.
- تعديل الحركة في عمران المملكة.
- عمدة الإثبات في رجال الحديث.
- إرشاد الحيران في خلاف القالون، لعثمان في القراءة.
- الجوهر المرتب في العمل بالربع المجيب.
- الحق الصريح ـ مناسك.
- الذخيرة المكية في الهيئة.
- إسعاف الإخوان في جواب السؤال الوارد من داغستان.
- هيئة الناسك.
- أصول الطرق وفروعها وسلاسلها.
- إقناع العاتب في آفات المكاتب.
- انتهاز الفرصة في مذاكرة متفنن قفصة.
- الأجوبة المكية عن الأسئلة الحجازية، نظم.

تربيته ومعلوماته:

لما ارتوى من حياضه الفياضة بالعلوم، وفتح الله عليه من أنواره السبحانية بالمنطوق منها والمعدوم، تفنن في المعقول والمنقول والفروع والأصول، بالأخذ من هؤلاء الأعلام المحققين، تصدّر للإقراء به حتى تخرَّج عنه كثير من العلماء، واصطفاه المقدس المرحوم محمد الطيب باي ولي العهد سابقاً وأمير الأمحال

أستاذ البلاط الملوكي ولإقراء أحفاده منهم كاتب هذه الترجمة تلميذه سائر العلوم، والأخص فن مصطلح الحديث، والبخاري، في الأشهر الثلاثة المباركة.

لما كان جامع الزيتونة منهل العلوم والمعارف، ومعقل العروبة، وحامل أمجاد الإسلام الطارف منها والتليد، فقد غرس في نفوس طلابه هذه الروح الأبيَّة، فاصطبغ خريجوه بصبغة الولاء لمجد العروبة والإسلام، ومن هنا كانوا هم المشاعل النيّرة التي أضاءت طريق الجهاد ضدّ المستعمر الفرنسي البغيض.

لقد كانت الزيتونة ممثّلة في شخص علمائها وأبنائها وخريجيها في الصفّ الأمامي على خطّ المواجهة مع العدوّ. إذ أجّج شعلة الجهاد ضدّ الفرنسيين فور احتلالهم تونس عام 1881 مشايخ من أهل العلم والفضل والدين، فقاد حركة المقاومة الشيخ محمد السنوسي حتى نفته السلطات الاستعمارية إلى الخارج، فحمل راية الجهاد من بعده الشيخ محمد المكي بن عزوز، وكان من مشايخ الزيتونة الثوريين، وكان مصيره هو الآخر الإبعاد، ومات في المنفى رحمه الله.

من أحفاده الذين هم ما يزالون على قيد الحياة: شاكر وماهر ابن المكي، ابن محمد الكامل، بن محمد المكي بن عزوز من تونس. وابن عمهما محمد الكامل ابن عبد الرحمٰن، بن محمد الكامل بن محمد المكي بن عزوز من الجزائر.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

عقيدة التوحيد الكبرى، نفعنا الله بمؤلفها، آمين

لا إلٰه إلا الله، محمَّدٌ رسُولُ الله.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البَقَرَة: الآية 255].

لا إلٰهَ إلا الله وحْدَهُ لا شرِيكَ لهُ، لهُ المُلكُ ولهُ الحَمدُ وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، قَدِيمٌ لا أوَّلَ لِوُجُوده، باقٍ لا نِهايةَ لِبقائهِ، جلَّ أنْ يلْحَقَهُ تَصَوُّرٌ، أو يُشَخِّصَهُ فِكْرٌ، فكُلُّ ما يخطُرُ بِبَالِكَ فَرَبُّنا مُخالِفٌ لِذلِكَ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشّورى: الآية 11]، وهُوَ العزيزُ الحكيمُ، العفُوُّ الغفُورُ، الرَّحيمُ، شديدُ العِقابِ.

كانَ العالَمُ ـ وهو جميعُ ما سِوَى الله ـ في العدَمِ، والله هوَ الذِي أوْجَدَهُ بمشيئَتِهِ مِن غيرِ احْتياجٍ إليهِ، ولا تفَكُّرٍ في إيْجادِهِ، فكُلُّه مُلْكهُ يتصرَّفُ فيهِ وَحْدَهُ كما يَشاءُ، فلا يُنسبُ إليهِ جَوْرٌ فيمَا أوْجَدَ أو أَعْدمَ، أو مَنَعَ أو أعْطَى، إنْ أَنْعَمَ فبِفَضْلهِ، وإنْ مَنَعَ فَبِعَدْلِهِ ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾ [الأنبيَاء: الآية 23]، ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي

شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 29]، غَنِيٌّ عنْ كلِّ ما سِواهُ، وجميعُ ما عَدَاهُ مُفْتقِرٌ إليهِ، يَهْدِي مَنْ يشاءُ، ويُضِلُّ مَن يَشاءُ، أفعالُهُ وأحْكامُهُ كُلُّها لِحِكْمَةٍ، لمْ يَخْلُقْ شَيْئاً عَبَثاً، أحاطَ بكُلِّ شَيءٍ عِلْماً، وأحْصَى كلَّ شيءٍ عَدداً.

لا يَتَجدَّدُ لهُ عِلمٌ بِتَجَدُّدِ الأشْياءِ، هوَ الذِي يُنْشِئُها على وِفْقِ ما في عِلْمهِ.

فعَّالٌ لِما يُريدُ، لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، ولا رَادَّ لِقَضائِهِ، مُقَلِّبُ القُلُوب، يَحُولُ بينَ المَرْءِ وقَلْبهِ.

هُوَ رَازِقُ مَنْ أرَادَ، مَتَى أرَادَ، أيْنَ أرادَ، بِما أرَادَ مِنَ المالِ والجاهِ والعُلومِ والأخْلاقِ أو غَيْرِها.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجر: الآية 21].

خلَقَ العَرشَ، والعَرْشُ مُحِيطٌ بالعَالَم، وفي جَوْفِهِ الكُرسِيُّ، وفي جَوْفِ الكُرسيُّ السَّماوات والأرْض، وخلَقَ اللَّوحَ والقَلمَ، وخلَقَ الملائِكَةَ والجِنَّ، والإنْسَ وسائِرَ الحَيوانات، وهُو مُغَذِّيها بَرّاً وبَحْراً، ليلاً ونَهاراً.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعَام: الآية 59].

س ـ هلْ يُقالُ: الله كائِنٌ في كُلِّ مَكانٍ؟

ج ـ لا يُقالُ؛ لأنَّه صُورَة القَوْل بِالحُلُولِ والاتِّحادِ وهُوَ كُفْرٌ، فالله تعالى مُسْتَوٍ على عَرشِهِ، بَائِنٌ مِن خَلْقِهِ، قرِيبٌ لهمْ بِعِلْمِهِ ومَلائِكته.

واسْتِوَاؤُهُ تعالَى علَى العرشِ يجبُ الإيمانُ بهِ دونَ تَعَرُّضٍ لِكَيفِيَّتِهِ كالسَّمْعِ والبَصَرِ، وسائرِ صفاتهِ تعالَى الثَّابتةِ بِلِسانِ الشَّرع.

هذٰا الذي اتَّفقَ عليهِ الأئِمَّةُ الأرْبَعةُ وغيرُهُم مِن أساطِينِ السُّنَّةِ، وهوَ المَعقُولُ.

ولا يَجوزُ التَّفَكُّرُ في ذَاتِ الله تَعالَى.

س: هَلْ يُفَسَّرُ اسْتَوَى بِاسْتَوْلَى في آيةِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طٰه: الآية 5]؟

ج: لا يُفَسَّرُ، وهو تَفْسيرُ المُعَطِّلَةِ كالمُعْتزِلَة، ولا يَسْتقِيمُ.

س: مَنْ هُم الملائِكَةُ وما وَظِيفتُهُم؟

ج: عِبَادُ الله مُطِيعونَ عابِدُونَ مَعْصُومُونَ، وهُم أَجْرامٌ مِن نُورٍ، لا إنَاثَ ولا ذُكُور، وقدْ يَتَشَكَّلُونَ بِشَكْلِ الآدَمِيِّ عندَ الحاجَةِ.

مِنهُمُ الأرْبعَةُ: جِبْرِيل، ومِيكائِيل، وإسْرافِيل، وعِزْرَائِيل.

ومِنهُم: مَلائِكَة مُوَكَّلُونَ بِكُلِّ إنْسانٍ يَتَعاقَبُون، لَيْلِيِّينَ ونَهَارِيِّينَ، يَكْتُبون كلَّ ما يقُولُ أو يَفعَلُ مِنَ الحَسناتِ والسَّيِّئاتِ إلى أنْ يَمُوتَ.

ومِنهُمْ: المَلَكَانِ اللَّذَانِ يَسْأَلانِ المَيِّتَ في قَبْرِهِ عنْ دِينِهِ.

ومِنهُمْ: خَزَنَةُ الجَنَّةِ وخَزَنَةُ النَّارِ.

ومِنهُمْ: غيرُ ذلك: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثِّر: الآية 31].

س: مَنْ هُم الجِنُّ؟

ج: هُمْ جِنْسٌ يَرَوْنَنا ولا نَراهُم، مُكَلَّفُونَ بِتَوحِيدِ الله وعِبادَتِهِ مِثْل الإنْسِ، منهُمُ الصَّالِحُونَ، ومنهُم دُونَ ذلِكَ.

ومِنهُمْ: إبْلِيسُ اللَّعِينُ، وذُرِّيَّتُهُ الخُبَثَاءُ المُضِلُّونَ.

ثُمَّ جَميع الجِنِّ داخِلُونَ تحتَ المَسْؤُولِيَّة بِالرِّسالَةِ المُحَمَّدِيَّة، وقدْ بَلَّغَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَآمَنَ مِنهُمْ مَنْ سَبَقَتْ لهُ السَّعادَةُ.

س: ما القَوْلُ في مَذْهَب دَارْوِينَ ومَن تَبِعَهُ في أنَّ أصْلَ البَشَرِ النُّشُوءُ والارْتِقَاءُ إنْكَاراً لِوُجُودِ آدَمَ وحَوَّاءَ؟

ج: اعْتِقادُ ذلِكَ مُجاهَرَة بِتَكْذِيب كَلامِ الله ورُسُلِهِ كُلِّهِم، فآدَم خَلَقهُ الله مِنْ طِينٍ ثُمَّ نَفَخَ فيهِ الرُّوحَ، وخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ جَسَدِ آدَم ومِنهُما تَنَاسَلَ البَشَرُ.

س: لِأَيِّ شَيءٍ خُلِقَ الجِنُّ والإنْسُ؟

ج: قَالَ تَعالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: الآية 56].

خَلَقَهُمْ فأَرْسَلَ إليهِم أنْبياءَ اخْتَارَهُم مِنْ خَلْقِه، وأوْحَى إليهِم بالشَّرَائِعَ. جعَلَ المَلائِكَة سُفَراءَ بَيْنهُ وبَيْنَهُم، وأَلْزَمَ جَمِيعَ الأُمَمِ التَّوْحِيدَ وتَصْدِيقَ الرُّسُلِ.

وسَخَّرَ لِعِبَادِهِ العَوَالِمَ العُلْوِيَّةَ والسُّفْلِيَةَ لِيَتَمَتَّعُوا ويَشْكُرُوهُ، قَالَ تعالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجَاثِيَة: الآية 13].

ومِنْ لُطْفِهِ جَلَّ جلالُه أنَّهُ شَرَعَ مِنَ العِبادَاتِ وأحْكَامِ المُعامَلاتِ لِكُلِّ قَوْمٍ ما يَلِيقُ بهِمْ زَماناً وإقْلِيماً، وإذْ جَعَلَ هذه الشَّرِيعةَ المُحمديَّةَ سَمْحَاءَ، ثابِتَة الأصْلِ، لا تتزَعْزَع، بَاسِقَةَ الأغْصَانِ، صالِحَةً لِكُلِّ قَوْم، وكُلِّ زَمانٍ وكُلِّ مَكانٍ، خَتَمَ بِها الشَّرائِع، وأدْخَلَ في حُدُودِها كلَّ مُكَلَّفٍ إلى يَوْمِ القِيامَةِ، فلا يُعْبَدُ إلا بِهَا، وشَرَطَ في قَبُولِ عِبَادَتِهِ الإيْمَان.

س: الإيْمَانُ بِماذَا؟

ج: الإيمَانُ بِاللهِ، وملائِكَتهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلهِ، واليَومِ الآخِرِ، وبِالقَدَرِ كُلِّهِ.

س: ما مَعْنَى: وبِالقَدَرِ كُلِّهِ؟

ج: هُوَ أنْ تَعْتَقِدَ أنَّهُ لا يَقَعُ شَيْءٌ فِي الكَونِ إلا بِعلْمِ الله وقُدْرتِهِ وإرَادَتِهِ، وقدْ أمَرَ اللهُ القَلَمَ فَكَتَبَ في اللَّوْحِ مَا سَيَكُونُ إلَى يومِ القِيامَةِ.

س: ما اللَّوْحُ والقَلَمُ والكِتابَةُ؟

ج: هِيَ مِنَ الغَيْبِياتِ الَّتِي ثَبَتَ وُجُودُها بِلِسانِ الشَّرْعِ، فيَجِبُ الإيمَانُ بِهَا،

ولا يَضُرُّ عَدَمُ عِرْفَانِ كَيْفِيَّاتِها.

س: ما وَظِيفَةُ العَقْلِ في هذَا العِلْمِ؟

ج: العَقْلُ مَخْلُوقٌ، والمَخْلُوقُ لا يَعْرِفُ مِنْ صِفاتِ خَالِقِهِ إلا ما عَرَّفَهُ خَالِقُهُ، فلا يَعْتَقِد، ولا يَتَكَلَّم أَحَدٌ في أُمُورِ خالِقِهِ إلا ما أَذِنَ لهُ فيهِ، فالعَقْلُ لا سَبِيلَ لهُ إلى الحُكمِ في المباحِثِ الإلٰهِيَّةِ نَفْياً أو إثْباتاً إلا بِتَلَقِّي عِلْمِهَا مِنْ إفَادَةِ النُّبُوَّةِ.

وكذٰلِكَ الأُمُور الأُخْرَوِيَّة وما أَخْبَرَ بهِ الشَّرْعُ مِمَّا غَابَ عنِ العَيَانِ، فليْسَ للعَقْلِ فيهِ وَظِيفةٌ إلا التَّعَقُّل والتَّفَهُّم للمُرَادِ مِنَ التَّبْليغاتِ النبويَّةِ بالقُرآنِ والحدِيثِ الصَّحيحِ، وكلُّها مُطابِقَةٌ للعَقْل، عَرَفَ مَنْ عَرَفَ، وجَهِلَ مَنْ جَهِلَ، وفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ.

حافِظُوا على هذَا الأساسِ الكُلِّي فَهُو الحاجِزُ بينَ الكُفْرِ والإيمانِ، وبينَ الخَطَأ والصَّوَابِ في هذا البَابِ.

وكُلُّ حُكْمٍ خَرجَ عنْ هذهِ القاعِدَةِ فهُو مَظْنُونٌ أو مَوْهُومٌ مِنْ قَائلهِ الأوَّل، بِناءً على قياساتٍ لمْ تَطَّرِدْ، فلا يَقِينَ فيهِ، ولا يجُوزُ اعْتِقادُهُ، ونَتَائِجُ الأفْكارِ لا تُقاوِمُ وَحْيَ الجَبَّارِ.

وسَبَبُ الخَطَأ القُصُورُ في الإحاطَةِ بِأَصْلِ المَسألَةِ أو تَعْرِيفِها، فلو اسْتُكملَت لأهْلِ الفَنِّ لَقَرَّ قَرارُهُمْ على الإذْعانِ إلى ما قالَهُ اللهُ ورسُولُهُ.

نَعَمْ، مَا كانَ غيرَ مُصرَّحٍ بهِ في النَّصِّ الدِّينِي فهوَ ليسَ مِنْ هذا البابِ.

فهذِهِ المَسألَة ـ وهِيَ عِرْفانُ وَظِيفَة العَقْلِ في هذا العِلْمِ وتَوْقِيفه عندَ حَدِّهِ ـ هيَ إحْدَى النُّقْطَتينِ اللَّتَينِ هُما مَنْبَعُ السَّعادَةِ والشَّقَاوَةِ.

والنُّقْطة الثَّانِية: اعْتِقادُ قُدْرَةِ اللهِ تعالَى وإرَادَتِهِ: مَنْ آمَنَ بِأَنَّ الله علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير، وفَعَّالٌ لِما يُرِيد، زَالَ عنْ فِكْرِهِ أكْثَر الإشْكالات المُضِلَّة؛ لأنَّهُ بِقُدْرَةِ اللهِ تَنْخَرِقُ الطَّبِيعَة، فكَما أَنَّ جَرَيانَهَا في سَبِيلِها المُعْتَاد هُوَ بِفِعْلِ اللهِ وحِكْمَتِهِ، فَلا إشْكَالَ في تَغييرِهِ، ومَجْرَاها الحِكْمَةُ أيضاً، فاللهُ لَم يَلْتَزِمْ عَدَمَ تَغْيِيرِ المُعتادِ مِنْ مَجَارِي الطَّبِيعة، بلْ صرَّحَ بِتغييرِها وتَبْدِيلِها وتَحْوِيلِها مَتَى شَاءَ.

ومِنَ الخَطأ الفاحِش تَفْسيرُ قولِهِ تعالَى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [فَاطِر: الآية 43] بأَنَّهُ القانُونُ الطَّبِيعي في حَوادِثِ الكَوْنِ.

والصَّوَابُ أنَّ سُنَّتَهُ هُنا نُصْرةٌ لأنْبِيائِهِ علَى مَنْ كَذَّبَهُمْ وعادَاهُمْ كمَا يَدُلُّ عليهِ صَدْرُ الآيةِ وهوَ: ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾ [فَاطِر: الآية 43].

فهيَ السُّنَّةُ التي لا تَتبدَّلُ والعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ.

فحافِظُوا على هَاتَيْنِ النُّقْطَتينِ تُفْلِحُوا، فهُما جَنَاحا المُسْلِم اللذَانِ يتخلَّصُ بهِما مِنَ الفِتَنِ، وإلا فهُوَ مِنْ أهْلَكِ الهَالِكِين.

س: كَمِ السَّمَاوَات؟

ج: السَّمَاواتُ سَبْعٌ، وهِيَ طِباقٌ بعضُها فوقَ بعضٍ، سَقْفاً مَحْفُوظاً.

وجَمِيعُها فوقَ عالَمِ الكواكبِ، ومَنْ نَفى وجُودَ السَّماواتِ المُفَسَّرَ بلِسانِ الشَّرعِ فقدْ جاهَرَ بتَكْذِيبِ النُّبُوَّةِ.

س: فِي كَمْ خُلِقَتِ السَّماواتُ والأرْضُ؟

ج: في ستَّةِ أيَّامٍ؛ خلقَ الأرضَ فِي يَومَيْنِ، ثُمَّ السَّماواتِ في يومينِ.

ثُمَّ دَحَا الأرْضَ، وخلَقَ ما عليها من جِبالٍ وماءٍ وأقْواتٍ وغيرَ ذلِكَ في يومَيْنِ.

س: ما مِقْدَارُ تِلكَ الأيَّامِ؟

ج: مِقْدَارُ أيَّامِ الدُّنيا المعرُوفةِ، ولا يَعْجز عنهُ، ولوْ شاءَ لخَلَقَها في لَحْظَةٍ.

س: هَلْ الأرْضُ كُرَةٌ أمْ مُسَطَّحةٌ؟

ج: كُرَةٌ ومُسَطَّحَةٌ، فالأرْضُ جُرْمٌ كَبيرٌ، لا يُنافِي تَسْطِيحُها كُرَوِيَّتَها لِتَبَاعُدِ أكْنافِ بعضِها مِنْ بَعْضٍ.

س: مَتَى تَكْتُبُ المَلائِكَةُ قِسْمَةَ الإنْسانِ السَّابِقَةَ فِي عِلْمِ اللهِ القَدِيمِ؟

ج: قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فيه في بَطْنِ أُمِّهِ، يَكْتُبُ المَلَكُ بِأَمْرِ الله أجَلَهُ ورِزْقَهُ، وشَقِيٌّ أوْ سَعِيدٌ، وما هُوَ لاقِيهِ في مُسْتقبلهِ.

س: هَلْ للإنْسانِ مَدْخَلٌ في أفْعالِهِ؟

ج: نعم؛ فالإنسانُ لهُ اخْتِيارٌ، للفَرْقِ الضَّرُورِيِّ بينَ حَرَكَةِ الارْتِعاشِ وحرَكَةِ البَطْشِ.

وعلَى فِعْلِهِ بِقَصْدِهِ وتَعَمُّدِهِ يُثَابُ ويُعاقَبُ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: الآية 286]، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعَام: الآية 149].

والتَّفْرِيطُ اعْتِماداً على القَدَرِ جَهْلٌ، فالذِي على العَبدِ أنْ يسعَى في الصَّالِحاتِ، ولا يَتجاوَزَ خُطَّتَهُ إلى التَّكْلُّفِ فِيمَا أخْفَاهُ اللهُ عنهُ مِنْ أنَّهُ المَقْدُور أو غيرَ المَقْدُورِ.

ثُمَّ الرُّجُوعُ إلى القَدَرِ يَكُونُ عندَ الطَّاعاتِ مِنْ غيرِ كَسَلٍ، وبعدَ المَصَائِبِ، لا عِندَ الذُّنُوبِ، فهوَ سُوءُ أَدَبٍ، ومِنْ غُرُورِ الشَّيْطانِ.

س: ما الاعْتِقادُ في حَقِّ الأنبِياءِ؟

ج: الأنبياءُ صادِقُونَ، أُمَنَاءُ، مَعْصُومُونَ، أهْلُ فِطْنَةٍ، لا يَكْتُمُونَ شيئاً مِمَّا أَمَرَهُمُ اللهُ بِتَبليغِهِ، مُؤَيَّدُونَ مِنَ اللهِ بالمُعْجِزَاتِ الخَارِقاتِ للعَادَةِ، عَلامَةً على صِدْقِهِمْ.

ومَنْ كَذَّبَ نَبِيّاً ـ ولو في كَلِمَةٍ ـ فَقَدْ كَفَرَ.

س: ما الذِي يَجُوزُ في حَقِّهِمْ؟

ج: يَجُوزُ عليهِمُ الأحْوَالُ البَشرِيَّةُ التي لا نَقِيصَةَ فِيها؛ كالجُوعِ والتَّعَبِ والنِّكاحِ، والمَرضِ الَّذِي لا تَنْفرُ منهُ النُّفُوسُ.

س: ما خَصَائِصُ نَبِيِّنَا مُحمَّد ـ عليهِ وعليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ؟

ج: هُوَ خَاتَمُ الأنْبياء، رَسُولاً إلَى جَمِيعِ الإنْسِ والجِنِّ، جاءَ مِنَ اللهِ بالقُرآنِ بَشِيراً ونَذِيراً وهُوَ أُمِّيٌّ لا يَكْتبُ ولا يَقْرأُ، ولَمْ يَتعلَّمْ قَطّ، وذلِكَ مِنْ أكْمَلِ الكَمالِ لهُ؛ لأنَّ أكْبَرَ مُعْجِزَاتِهِ القُرآن الَّذِي أدْهَشَ مَصَاقِعَ خُطَباءِ العَرَبِ، لِيَتحقَّقَ أنَّ فَتْحَهُ قُدْسِيٌّ، وكِتابَهُ مُنَزَّلٌ عليهِ مِنَ اللهِ، فلا يَرْتَاب أحَدٌ في نُبُوَّتِهِ وإبْلاغِهِ رِسَالَةَ رَبِّهِ.

س: هَلِ القُرآنُ كَلامُ اللهِ نَفْسُهُ؟

ج: القُرآنُ كَلامُ اللهِ نَفْسُهُ، وهُوَ المَكْتُوبُ في المَصاحِفِ، المَحْفُوظُ في الصُّدُورِ، المَقْرُوءُ علَى الألْسِنَةِ، نَزَلَ بهِ جِبرِيلُ علَى مُحمَّدٍ ﷺ مُعْجِزاً كُلَّ مَنْ يُعارِضُهُ أو يُرِيدُ الإتْيانَ بِمِثلِهِ.

قالَ تعالَى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: الآية 88].

وقَدْ تَكَفَّل اللهُ بِصِيانَتِهِ مِنَ التَّبْدِيلِ والتَّغْيِيرِ، ومَنْ سَعَى في تَحْرِيفِهِ لَفْظاً أو مَعْنَى يَفْتَضِحُ، وعَجْزُهُ يَتَّضِحُ.

س: ما القَوْلُ في الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ غيرِ القُرآنِ؟

ج: التَّوراةُ والإنجيلُ والزَّبُورُ وغيرُهَا مِنَ الصُّحُفِ الإلٰهِيَّةِ كُلُّها كَلامُ اللهِ مِثْل القُرآن، إلا الكَلِمات الَّتِي حَرَّفُوها. وحَيثُ كانَ حَصْرُها مَجْهُولاً فَنَقُولُ في تِلْكَ الكُتُبِ إجْمَالاً: آمَنَّا بِمَا جاءَ مِنْ عِندِ اللهِ.

والشَّرْعُ المُحمَّدِي مُصَدِّقٌ للشَّرَائعِ قَبْلَهُ، ورَافِعٌ لِحُكْمِهَا بأَمْرِ اللهِ، فلا شريعةَ بعدَ بِعْثَتِهِ إلا شريعَتُه، وهِيَ أَجْمَعُ الشَّرَائعِ وأيْسَرُها، ولا يَلْزَمُ أنْ نَعْرِفَ حكْمَةَ جَمِيعِ الأحْكامِ الشَّرعِيَّة، وإنْ كانَ أكْثرُها وَاضِحَ الحِكْمَةِ.

س: هَلْ لِلحَدِيثِ النَبَوِيَّ حُكْمُ القُرآنِ في الطَّاعَةِ والإيمَانِ؟

ج: نَعَمْ لا فَرْقَ بينَهُما في ذَلِكَ. والحَدِيثُ الصَّحيحُ مَحْفُوظٌ عندَ أَهْلِهِ بالحَرْفِ والشِّكْلَةِ، إذْ لا يُزَادُ فيهِ ولا يُنْقَصُ.

س: هل يَجُوز تَفْسِيرُ القُرآن بِمُقْتَضَى القَواعِدِ التِي انْتَهَى إليهَا تَفَنُّنُ أهْلِ العَصْرِ ولوْ خَالَفَتِ النَّصَّ الصَّحِيح؟

ج: تَفْسيرُهُ بِما يُخالِفُ الثَّابتَ مِنْ عِلْمِ الكِتابِ والسُّنَّة حَرامٌ، ورُبَّما يَجُرُّ إلى الكُفْرِ، فحُكْمُ القُرآن وحِكْمَتُهُ وتَعْرِيفُهُ للحَقَائِقِ بالمَعْنَى العَرَبِي والمِنْهَاجِ المُحَمَّدِي مُسْتَمِرٌّ إلى يومِ القيامَةِ، ومَنْ زعَمَ اخْتِصاصَ تلكَ المعانِي والتَّعْرِيفات بِإقْلِيمٍ أو زمانٍ دونَ غَيرِهِ فهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، حيثُ نسَبَ للنَّبِيِّ ﷺ ما هُوَ مُنَزَّهٌ عنهُ مِنْ تَصْوِيرِ غيرِ الوَاقِعِ، إمَّا قَصْداً أو جَهْلاً بالحَقَائِقِ، وحَاشَاهُ ﷺ مِنَ الأمْرَيْنِ، وقدْ صَدَّقَهُ اللهُ في جَمِيعِ مَقالاتِهِ، أيَخْفَى علَى اللهِ شَيْءٌ؟

﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [المُلك: الآية 14].

وقالَ لهُ رَبُّهُ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النّحل: الآية 44].

وقدْ تقدَّمَ أنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَ الدِّينَ مِنْ كَلامِ المُتفلسِفَةِ مَظْنُونٌ لهُمْ، وذلِكَ

بِاعْتِرافِهِمْ، وإنَّما تَمَسَّكُوا بهِ لِعدَمِ المُعارِضِ عِندَهُم؛ أَدْنَى مِنْ دَرَجَةِ الظَّنِيَّاتِ، أَفَنَقْتَدِي بهِمْ وبَيْنَنا الفَارقُ الأكْبَرُ؟

ثُمَّ المُشاهَدُ ازْدِيادُ التَّوَسُّعِ في التَّفَنُّنَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ، وانْتِقالُ الأفْكارِ مِنْ حَيِّزٍ إلى حَيِّزٍ بِلا قَرَارٍ، أَفَيتبَدَّلُ تَفْسِيرُ كلامِ اللهِ بِتَبَدُّلِ صِبْغَةِ الأفْكارِ علَى مَمَرِّ الأعْصَارِ فَيَبْقَى القُرآنُ لعْبَةً بِيَدِ النَّاسِ؟ حَاشَاهُ ويَأْبَى اللهُ ذلِكَ.

س: هَلْ يَخْلُقُ اللهُ شيئاً بِلا سَبَبٍ طَبِيعِيٍّ؟

ج: نَعَمْ يَخْلُقُ بِسَبَبٍ طَبِيعيٍّ، وبِلا سَببٍ طَبِيعِيٍّ على حَسْبِ ما شَاءَ، وبِهَذا تَعَرَّفَ اللهُ إلَى خَلْقِهِ كما ذَكَرَهُ في القُرآن كَثِيراً.

وخَلْقُهُ بعضَ الأشياءِ بِلا سَببٍ طَبِيعيٍّ هُوَ الذِي يَدُلُّ دلالَةً واضِحةً علَى قُدْرَتِهِ تَعَالى وتَفَرُّدِهِ بالتَّصَرُّفِ إذَا أَرَادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لهُ: كُنْ فَيَكُون.

فَمِنْ ذلِكَ مُعْجِزَاتُ الأنْبِيَاءِ الَّتِي مَنْ كَذَّبَ بهَا كَفَرَ؛ كَطُوفَانِ نُوحٍ وحَياتِهِ البالِغَة نَحْوَ أَلْفِ سَنَةٍ، وهَلاكِ عَادٍ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، وثَمُودَ بِالصَّيْحَةِ، وقَلْبِ مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطٍ، وآية نَارِ إبْرَاهِيم، وعَجَائِب عَصَا مُوسَى، وتَسْخِير الرِّيحِ والشَّيَاطِين وجَمِيعِ الحَيوانات لِسُلَيمانَ، وخَلْق عِيسَى بِلا أبٍ، وإبْرَائِهِ الأكْمَهَ والأبْرَصَ، وإحْيَائِهِ المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ، ورَفْعُهُ إلى السَّمَاءِ، وقِصَّةُ أصْحَابِ الكَهْفِ، وخَلْقِ آدَمَ بِلا أَبَوَيْنِ، والإسْرَاءِ المُحمَّدِيِّ، ومِعْراجِهِ إلى السَّمَاواتِ بِجَسَدِهِ يَقْظَةً ورُجُوعُه في ليلةٍ واحِدةٍ.

وكانْشِقَاقِ القَمَرِ لهُ، وغيرِ ذلِكَ مِمَّا بَعضُهُ لا تَقْتَضِيهِ الطَّبِيعةُ أصْلاً، وبعضهُ يَقَعُ مِثْلهُ في الطبِيعةِ نَادِراً ولا يَبْلغُ إلى دَرجَةِ ما يَقَعُ مُعْجِزَة.

فصلٌ

لا نَجْهَلُ ولا نُنْكِرُ طَبِيعةَ البَشَرِ وذَوِي الأرواحِ الأرْضِيَّةِ إذَا ارْتَفعَتْ خارِقَةً لِكُرَةِ الهَواءِ لهَا حَدٌّ مَحْدُودٌ لا تَتَعَيَّشُ فَوْقَهُ عادَة، لكِنَّ مَشِيئَةَ اللهِ وقُدْرَتَهُ تَنْقُضُ حُكْمَ الطَّبِيعَةِ في ذَلِكَ الأمْر ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يُوسُف: الآية 21]، وهذا أصلٌ عامٌّ مِنْ ضرُوريَّاتِ الإيمانِ واليَقِينِ.

س: ما القَوْلُ فِيمَنْ قالَ: إنَّ تلْكَ المُعجِزاتِ وقَعَتْ بوَجْهٍ طَبِيعيٍّ لا بِخَرْقِ العادَةِ؟

ج: جَرَيانُ الطَّبِيعةِ بذلِكَ كيفَ يَتَّفِقُ دائِماً معَ غَضَبِ الله على المُهْلَكِينَ مَثلاً ورِضَاهُ عَنِ النَّاجِينَ، فإذا كانَ مَجْرَى العادَةِ مُسْتَمِرّاً في سَبِيلِهِ بِلا تَخَلُّفٍ فَأَيُّ حَاجَةٍ بِغَضَبِهِ تَعالَى وَرِضَاه؟! إذْ لا تَأْثِيرَ لهُ علَى زَعْمِهِمْ.

ومَعنَى هذَا القَوْل: هُوَ نِسْبَة العَجْزِ لِلْقُدْرَةِ الإلٰهِيَّةِ، وعَزْلُ الخَالِق عنِ التَّصَرُّفِ في مَخْلُوقاتِهِ، وهُوَ انْسِلاخٌ مِنَ الدِّينِ بِلا شَكٍّ، فَقُدْرَتُهُ تعَالَى لا يُوجِبُهَا سَبَبٌ، ولا يَرْفَعُهَا سَببٌ، ما شَاءَ اللهُ كانَ، وما لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

فصلٌ

ولَوْ شَاءَ اللهُ أنْ يَجْعَلَ الزَّمَانَ كُلَّهُ نَهاراً مُضِيئاً أو كُلَّهُ لَيْلاً مُظْلِماً لَفعَلَ،

ولِذَلِكَ شُرِعَ عِنْدَ كُسُوفِ الشَّمْسِ الفَزَعُ إلَى الصَّلاةِ والاسْتِغْفَارِ خَوْفاً مِنْ غَضَبِ الجبَّارِ جلَّ جلالُهُ فَيَخْرِق حِسَابَ انْجِلائهَا المَعْرُوف، فيَسْتَمِرُّ الظَّلامُ عُقُوبَةً إنْ لَمْ يَرْحَمْ عِبَادَهُ، ولا يَعْجِزُ عنْ ذلِكَ، ففِي الآيةِ الكَرِيمَة: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القَصَص: الآيتان 72،73]. فلَوْ فُرِضَ أنَّ قَائِلاً قالَ في مُقابَلَةِ الآيَةِ: يَأْتِينَا بِالضِّيَاءِ واللَّيْلِ القانُونُ الطبيعيُّ الذِي لا يتَخَلَّفُ، يَعْنِي اخْتِلافَ الحَرَكَةِ في التَّقَابُلِ بينَ الأرْضِ والشَّمْسِ، فكأَنَّهُ قالَ: لَنَا إلٰهٌ يَأْتِينَا بهِ، وليسَ وراءَ ذلِكَ دِينٌ.

فصلٌ

وبِقُدْرَتِهِ تعَالَى قَالَ لِلسَّماوَاتِ والأرْضِ: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت: 11]، فالمَخْلُوقاتُ كُلُّهَا مُذْعِنَةٌ لِسَطْوَةِ الأُلُوهِيَّةِ إلا مَنْ أَبَى واسْتَكْبَرَ مِنَ الجِنِّ والإنْسِ.

قالَ تَعالَى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرَّحمٰن: الآية 6]، ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرّعد: الآية 13]، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسرَاء: الآية 44] ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ ـ أي من الحجارة ـ ﴿لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 74]، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعرَاف: الآية 54]، والطَّيْر فِي الجَوِّ مَا يُمْسِكُهُنَّ إلا اللهُ كمَا يُمْسِكُ السَّماءَ أنْ تَقَعَ علَى الأرْضِ إلا بإِذْنِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يُونس: الآية 22] هُوَ الذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ لَوَاقِحَ فَتُثِيرُ سَحاباً، هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ المَطَرَ ويُنْزِلُهُ، ويُنْبِتُ النَّباتَ، ولَوْ لَمْ يشَأْ لَمْ تَنْزِلْ قَطْرَةٌ، ولا يُنْزِلُ المَاءَ وَلا يُنْبِتُ نَباتٌ، هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ الزَّلْزَلَةَ والصَّاعِقَةَ بِسَبَبٍ أوْ بِلا سَببٍ، ويُسَلِّطُهَا علَى مَنْ يَشاءُ ويَصْرِفُهَا عَمَّنْ يَشاءُ بِسَببٍ أوْ بِلا سَببٍ.

فهُوَ خالِقُ الأسْبابِ والمُسَبِّباتِ، ولَوْ شَاءَ أَنْ لا يُؤَثِّرَ سَبَبٌ فِي مُسَبِّبٍ ما أَثَّر.

فصلٌ

وَهُوَ تعالَى الشَّافِي لِلمَرِيضِ، ولوْ شاءَ أنْ لا يَبْرَأَ لا يَقَعُ البَرْءُ، ولَوِ انْتَظَمَ لهُ عِلاجٌ لا يَتَخَلَّفُ نَفْعُهُ عادَةً بِتَدْبِيرِ ألْفِ حَكِيمٍ.

ولا يُقالُ ـ حَيثُ لمْ يَشَأ اللهُ بُرْءَ المَرِيضِ ـ: يَقَعُ الخَطَأُ في العِلاجِ أوْ في اسْتِعْمَالِهِ، فإنَّ هذَا إيجَابٌ للأسْبابِ، وفَكُّ الحُكْمِ مِنْ يَدِ اللهِ إلى يَدِ الأسْبابِ، وهُوَ الَّذِي نَذُّبُ المُسْلِمينَ عنِ السُّقُوطِ فِي اعْتِقادِهِ تَقْرِيراً للتَّوْحِيْدِ.

س: ما بِدْعَة العَقِيدَة في هذا العِلْمِ؟

ج: كُلُّ عَقِيدَةٍ حَدَثَتْ بعدَ الصَّحابَةِ فهِيَ مُبْتَدَعَةٌ، ومُعْتَقِدُهَا بِدْعِيٌّ فِيهَا وإنْ كانَ مِنْ أهْلِ السُّنَّةِ في غَيْرِها.

س: هَلْ يجُوزُ أنْ يُوصَفَ اللهُ تعالَى بِمَا لَمْ يَثْبُتْ في الشَّرْعِ إذَا كانَ وَصْفَ كَمالٍ؟

ج: صِفاتُهُ وأسْمَاؤُهُ تعالَى تَوْقِيفِيَّةٌ، فلا يَجُوزُ أنْ يُوصَف إلا بِما وَصَفَ بهِ نَفْسَهُ أوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ.

س: ما الحُكْمُ فِيمَن قالَ كَلِمَةَ تَحْقِيرٍ في الأنْبياءِ أو المَلائِكَةِ أو الكُتُبِ الإلٰهِيَّةِ؟

ج: يُكفَّر.

س: ما حُكْمُ نَصْبِ الخَلِيفَةِ في الإسلامِ؟

ج: حُكْمُهُ الوُجُوبُ على الأُمَّةِ، ولا يجُوزُ خَلْعُهُ والخُرُوجُ عَنْ بَيْعَتِهِ ما دَامَ مُؤْمِناً يُصَلِّي.

س: ما القَوْلُ في الكَرَاماتِ؟

ج: كَرَاماتُ الأوْلِياءِ حَقٌّ، يَخْرِقُ اللهُ لهُمُ العادَةَ إِكْراماً، ولا إشْكَالَ فِيهَا لأَنَّهَا فَرْعُ المُعْجِزَاتِ، نَالُوها بِاتِّبَاعِ الأنْبِياءِ وسِرِّ الاقْتِدَاءِ، ومَعَ ذلِكَ لا تَتعَلَّقُ بِهَا هِمَّةُ وَلِيٍّ.

وشَرْطُ الكَرامَةِ أنْ لا تَخْرِقَ حُكْماً شَرْعِيّاً.

س: ما هذَا الاخْتِلافُ بَيْنَ أئِمَةِ المَذَاهِبِ وشَرِيعَتُهُم واحِدَةٌ؟

ج: اخْتِلافُهُمْ لا يَقْدَحُ في الشَّرِيعَةِ ولا فِيهِمْ، ولا إشْكَالَ فيهِ لِمَنْ تَبَصَّرَ؛ وذَلِكَ أنَّ النَّصَّ النَّبَوِيَّ الَّذِي بَلَغَ جَمِيعَهُمْ لا يَخْتَلِفُونَ فيهِ إذْ كُلُّهُمْ يَتَحَرَّى السُّنَّةَ،

ومَا لا نَصَّ فيهِ يَجْتَهِدُونَ في حُكْمِهِ، فَتارَةً يَخْتَلِفُونَ، والحَقُّ لا يَتَعَدَّدُ، فيَفُوزُ بهِ أحَدُهُمْ؛ فمَنْ أصَابَ فلهُ أجْرَانِ، ومَنْ أَخْطَأَ فلَهُ أجْرٌ.

وحيثُ لا نصَّ فكُلٌّ على اجْتهادِهِ لِخَفَاءِ المُحِقِّ مِنَ المُخْطِئِ، فإنْ ثَبَتَ نَصٌّ مُعاضِدٌ لأحدِهِم فالحَقُّ يَتعيَّنُ لهُ.

ولا يجُوزُ لِمُسْلِمٍ التَّعَصُّبُ لِقَوْلِ أحَدٍ تبَيَّنَ خَطَؤُهُ في ذلِكَ القَوْلِ، ولكِن يُحْمَلُ قائِلهُ الأوَّل وعلى عَدَمِ بَلاغِ الخَبَرِ لهُ تنْزِيهاً لِمَقامِهِمْ عنْ تَعَمُّدِ المُخالَفَةِ، هذا هُوَ العَدْلُ الذِي أمَرَ بِهِ اللهُ ورَسُولُهُ وسَائِرُ الأئِمَّةِ في هذِهِ المَسْأَلَةِ.

فَصْلٌ

المَوْتُ بِالأجَلِ المَحْدُودِ ولوْ مَقْتُولاً. وعِزْرائِيلُ هُوَ مَلَكُ المَوتِ قابِضُ الأرْوَاحِ بِإِذْنِ اللهِ، ولهُ مَلائِكَةٌ أعْوَانٌ.

س: ماذَا يُفْعَلُ بالمَيِّتِ بعدَ دَفْنِهِ؟

ج: إمَّا في نَعِيمٍ وإما في عَذَابٍ.

وسُؤَالُ المَلَكَيْنِ حَقٌّ بعدَ أنْ تَرْجِعَ لهُ حَياةٌ يُفْهَمُ بِهَا الخِطابَ، ويَرُدُّ الجَوَابَ.

ويُقْعِدَانِهِ في قَبْرِهِ ويَسْأَلانِهِ عنْ دِينِهِ؛ فأمَّا المُؤْمِنُ فيُجِيبُ باعْتِقَادِهِ فيُنَعَّمُ ويُقالُ لهُ: نَمْ نَوْمَةَ عَرُوسٍ، فيَكُونُ في أحْلَى نَوْمَةٍ نَامَهَا أحَدٌ حتَّى يُبْعَث.

وأمَّا غيرُ المُؤْمِنِ فيقُولُ: لا أدْرِي، فَيُعَذَّبُ، فذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ [إبراهيم: الآية 27].

لا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ ولَوْ تَفَرَّقَ جَسَدُهُ في أمَاكِن مُتَباعِدَةٍ فَاللهُ قَادِرٌ أنْ يُذِيقَهُ ذلِكَ كَيْفَما كانَ.

وقَوْلُ المَلاحِدَةِ: نَفْتَحُ القَبْرَ فَلا نَجِدُ ما يَدُلُّ علَى ذَلِكَ، جَهَالَةٌ، لأَنَّ الله تَعَالى يَسْتُرُها، ولَوْ بَرَزَتْ أُمُورُ الآخِرَةِ للأحْيَاءِ لَبَطَلَتْ حِكْمَةُ البَارِي تَعَالى في سَعَادَةِ مَنْ يُؤْمِنُ بالغَيْبِ، وشَقَاوَةِ مَنْ يَكْفُرُ بِهِ.

س: ما البَرْزَخُ؟

ج: هُوَ عالَمٌ بينَ الدُّنيا والآخِرَةِ مَوجُودٌ الآنَ، وفيهِ مُسْتَقَرُّ الأرْوَاحِ ومَا شَاءَ اللهُ.

فصلٌ

والسَّاعَةُ حَقٌّ، ولا يَعْلَمُ وقْتَهَا إلا الله.

والحَشْرُ وتَفَاصِيلُهُ الَّتِي ذَكَرَها الشَّرْعُ العَزِيزُ حَقٌّ.

س: هل الحَشْرُ بالجِسْمِ أمْ بِالرُّوحِ دُونَ الجِسْمِ؟

ج: تُحْشَرُ الأجْسَامُ بِأَعْيانِهَا الَّتِي كانَتْ في الدُّنيا، وهِيَ الَّتِي تُحَاسَب.

س: هَلْ يُسْمَعُ طَلَبُ الدَّلِيلِ فَنِّيّاً علَى عَذَابِ القَبْرِ ونَعِيمِهِ ومَا بَعْدَهُ مِن أُمُورِ الآخِرَة كالحَشْرِ بالأجسامِ وغيرِهِ؟

ج: لا يُسْمَعُ، فهُوَ طَلَبٌ لا يَتَوَجَّهُ أصْلاً، ولا يَقُولُهُ عاقِلٌ ذُو إدْراكٍ سَلِيمٍ، لأنَّ الغَيْبِيَّاتِ هِيَ ممَّا وَراءَ الطَّبِيعَةِ.

وقواعِد الفَنِّ مُنْحَصِرة في الطَّبِيعيَّاتِ.

والعَوَالِم الأخْرَوِيَّة مِنْ أَحْوَالِ المَوْتِ، فمَا بَعدَهُ إلى الجنَّة أو النَّار ليستْ مُتولِّدَةً تَوَلُّداً طَبِيعيّاً بانْقِلابِ الأطْوَارِ المُتناسِبَةِ، فيُدْرِكُهُ العَقلُ بالقواعِدِ والقِياسَاتِ والتَّنْظِيرِ بِما يَراهُ مِنَ المُكْتَشَفَاتِ.

وكَذَا يُقالُ في سائِرِ الغَيْبِيَّاتِ الَّتِي أَثْبَتَهَا الشَّرْعُ؛ كالملائِكَةِ والجِنِّ، وما في السَّماواتِ وغيرِها ليسَتْ مُتولِّدَةً مِنَ الأشياءِ التي للقواعدِ بها ارْتِباطٌ، وللعقلِ فيها مَجالٌ.

ثُمَّ إنَّ السَّاعةَ تَأْتِي دُفْعَةً واحِدةً، قالَ تعالَى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [النحل: الآية 77].

وقالَ: ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةً فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ [الأنبياء: الآية 40].

والعَقْلُ لا يَمْنعُ شيئاً مِنْ ذلِكَ؛ لأنَّهُ ليسَ داخِلاً في دائِرَةِ ما يُثْبِتُهُ أو يَنْفِيهِ، ولا يَعْرِفُهُ إلا مِنْ طريقِ القُرآنِ والخَبرِ النَّبَوي كمَا قدَّمْناهُ، فظهَرَ أنَّ التَّصْدِيقَ بِتِلكَ الأمُورِ لا يتوقَّفُ على إثْباتِهَا فَنِّيّاً إلا عندَ مَنْ لا يَرى للهِ قُدْرةً تامَّةً عامَّةً، ولا

للأنبياءِ صِدْقاً، وهُوَ صَرِيح الكُفْرِ، فالعاقِلُ يقولُ: آمَنْتُ بِاللهِ وبِرَسُولِهِ.

س: ما هِيَ علامَةُ السَّاعَةِ الدَّالَّةُ على قُرْبِها؟

ج: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وخُرُوجُ الدَّابةِ مِنَ الأرْضِ، وظُهُورُ الدَّجال الكَذَّاب المُدَّعِي أنَّهُ الرَّبُّ، وفِتْنَتهُ أكْبَرُ فِتْنَةٍ علَى المُسْلِمِين؛ فينبغي تكرارُ تَنْبيهِ النَّاس على افْتِرَائِهِ، ونُزُولُ نَبِيِّ اللهِ عِيسى عليه السَّلام حَاكِماً بالشَّرْعِ المُحَمَّدِي، وخُرُوجُ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِنْ وَرَاءِ سَدِّ ذِي القَرْنَيْنِ لِيُفْسِدُوا ثُمَّ يُهْلِكهُم الله، وغير ذلِكَ.

وفِي الأخِيرِ يَنْفُخُ إسْرَافِيلُ في الصُّورِ نَفْخَةَ الصَّعْقِ فَيَمُوتُ جَمِيعُ الأحْيَاءِ، ثُمَّ نَفْخَةَ البَعْثِ فَيَحْيَا جَمِيعُ الأمْوَات، فإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ.

س: ما القَوْلُ في سَدِّ ذِي القَرْنَيْنِ؟

ج: وهُوَ ثَابِتٌ، وإنْكَارُهُ تَكْذِيبٌ للقُرآنِ، ومَوْقِعُهُ مِنْ جِهَةِ القُطْبِ الشَّمَالِي، كَمَا يَدُلُّ لهُ سِياقُ الوَاقِعَةِ وتفاسِيرُها العَتِيقَة، والمُنْكِرُونَ لِوُجُودِهِ اسْتِناداً علَى عَدَمِ العُثُورِ عليْهِ مَعَ كَثْرَةِ السِّياحَات.

فأوَّلاً: لَمْ يَقْطَعُوا تِلْكَ الجِهَةِ بِاعْتِرَافِهِمْ.

وثانِياً: قَبْلَ الأوَانِ يُحْتَمَلُ أنْ يَحْجِبَ الله الأعْيُنَ عنهُ وعَمَّا وَرَاءَهُ، هُوَ القادِرُ جَلَّ جلالُه.

س: بعدَ البعثِ مِنَ القُبُورِ، ماذَا؟

ج: الـحَشْرُ في عَرَصاتِ القِيامَةِ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: الآية 48].

ثُمَّ الشَّفاعَةُ الكُبْرَى المُحَمَّدِيَّة العُموميَّة، لِفَصْلِ النَّاسِ بعدَ طُولِ وُقُوفِهِم حُفاةً عُراةً.

وهِيَ المَقامُ المَحْمُودُ الموعُودُ بهِ في القُرآنِ، ثُمَّ الحِسابُ، والمِيزَانُ، وتَطايرُ الصُّحُفِ المُحْتَوِيَةِ علَى الحَسَناتِ والسَّيِّئَاتِ، فلا تُخْطِئُ صَحِيفَةٌ صاحِبَها، فالسَّعِيدُ يُعْطاهَا بِيَمِينِهِ، والشَّقِيُّ يُعْطاها بِشِمالِهِ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزّلزلة: الآيتان 7،8].

ومَنْ أَنْكَرَ ذُنُوبَهُ يومئِذٍ تَنْطِقُ أعْضَاؤُهُ شاهِدَةً عليهِ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية 49].

وهُنَاكَ الحَوْضُ المُحَمَّدِيُّ مَنْ شَرِبَ منهُ لا يَظْمَأُ أبَداً. والصِّرَاطُ؛ وهُوَ جِسْرٌ دَقِيقٌ علَى جَهَنَّمَ، والمُرُورُ عليهِ مُخْتَلِفٌ، فَمِنْ نَاجٍ، ومِنْ عَاطِبٍ، ثُمَّ إلى الجنَّةِ أو إلى النَّارِ.

س: ما الأعْرَافُ؟

ج: الأعْرَافُ سُورٌ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ، وأصْحابُهُ مُطِلّونَ على الجَمِيعِ، وعاقِبَتُهُمْ دُخُولُ الجنَّةِ.

س: هَلِ الجنَّةُ والنَّارُ مَخْلُوقتَانِ؟

ج: نَعَمْ مَخْلُوقَتانِ الآنَ، وفِيهِما ما قالَهُ اللهُ ورَسُولُهُ، والنَّعِيمُ والعَذابُ مَحْسُوسَانِ حَقِيقةً لا مَجازاً.

ففِي النَّارِ: نَارٌ مُوقَدَةٌ، وسَلاسِلُ وأغْلالٌ وغَيْرُها علَى صُورَةِ المُسَمَّيَاتِ بِتِلْكَ الأسْماءِ في الدُّنيا، وإنْ كانتِ الأخْرَى أكْبَرَ وأفْظَعَ وأشَدَّ وأخْزَى.

وفِي الجَنَّةِ: اللِّبَاسُ والطِّيبُ ومُباشَرَةُ النِّسَاءِ، والأكْلُ والشُّرْبُ، ونَحوُ ذلك مِثْلَ صُورَةِ الَّذِي في الدُّنيا، لكِنْ هُناكَ أجْمَلُ وأنْقَى، وأكْمَلُ وأبْقَى.

فَبَيْنَ أشْياءِ الدُّنيا وأشْياءِ الآخِرَةِ فَرْقٌ كَبِيرٌ لا يُحْصَى مِقْدَارُهُ.

وأعْلَى نَعِيمِ الجنَّةِ: رُؤْيَةُ العَبْد رَبَّهُ بالبَصَرِ.

والمُؤْمِنُ العاصِي إذا ماتَ بِلا تَوْبَةٍ فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ إلى رَبِّهِ؛ ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾ [النِّساء: الآية 48].

وأهْلُ الجنَّةِ مُخَلَّدُونَ فِيهَا، وأهْلُ النَّارِ مُخَلَّدُونَ فِيهَا، إذَا مَاتُوا كُفَّاراً، فإنْ كانُوا مِنْ عُصاةِ المُؤْمِنِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ ولَوْ بعدَ حِينٍ، ويَدْخُلُونَ الجَنَّةَ.

س: ما القَوْلُ في الدُّعَاء، هَلْ يَنْفَع؟

ج: نَعَمْ يَنْفَع، والبَلاءُ يَدْفَع.

والاسْتِعاذَةُ بِاللهِ وأَسْمائِهِ وصِفاتِهِ نافِعَةٌ نَفْعاً واضِحاً، ومَعَ ذلِكَ لا يُتْرَكُ تَعَاطِي أسْبَابِ المَنافِعِ، وتَجَنُّبُ أسْبابِ المضَارِّ، وإعْدَادُ القُوَّةِ لِدَفْعِ البَلاءِ بِقَدْرِ الاسْتِطاعَةِ والقَلْبُ مُسْتَعِينٌ بِاللهِ؛ فاليَدُ تَعْمَلُ، والقَلْبُ علَى اللهِ يَتَوَكَّل، واللِّسَانُ يَدْعُو الله في أوْقاتِهِ، فالشُّغْلُ الواحِدُ يَخْدِمُهُ الأعْضَاءُ الثَّلاثةُ، ولا تَنافِي بينَ وَظائِفِهَا الثَّلاث، هذَا هُوَ الشَّرْعُ الكامِلُ وبهِ يَتِمُّ المَأْمُولُ لِلآمِلِ.

في ذي الحجة سنة 1326 هجرية

حَرَّرَهُ محمَّد المكي ابن عزوز

فهرس المحتويات

TUḤFAT AS-SAFARA

ILĀ ḤAḌRAT AL-BARARA

By
Al-Shaykh Muhyiddin ebn Arabi
(D. 638 H.)

FOLLOWED BY:

ʿAQĪDAT AT-TAWḤĪD AL-KUBRĀ

By
Al-Shaykh ebn Azuz Al-Maghriby Al-Maliki
(D. 1334 H.)

Edite By
Dr.Assem Ibrahim Al-Kayyali

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon بيروت - لبنان | كتاب - ناشرون